التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 145 السنة السابعة عشر - ديسمبر 2019

للخروج من الركود السياسي

مهمة لا تقبل التأجيل 11

هل عرف الشيخ محمد ضالح خنجي كانط؟ 20

قراءات في شعر سعيد العويناتي 28-30

موقفنا

الأوطان أولاً

الانتماء للأوطان هو الأساس، لا الانتماء للمذاهب والطوائف.لا جدال في حقّ كل مواطن عربي وغير عربي في أن يعتنق المذهب الذي يختاره أو ورثه عن آبائه وأجداده، لكن في نهاية المطاف يظل هذا أمراً خاصاً به، فعلى الوطن الذي ولد وتربى فيه وإليه ينتسب يعيش آخرون يعتنقون مذاهب وديانات أخرى، لكن الوطن هو ما يجمع الكل، ويوحدهم ويُشكّل هويتهم الجمعية الحقة، التي تجعلهم شركاء لا في الانتماء لهذا الوطن فحسب، وإنما في تنميته وتقدّمه والدفاع عن وحدته وسيادته واستقراره.

هذا هو الدرس الثمين الذي يمكن استخلاصه من الحراك الشعبي الجاري في بلدين عربيين غاليين علينا هما العراق ولبنان، حيث أثبت العراقيون واللبنانيون بالملموس، وعلى الأرض، ما دأب مفكرون وسياسيون عرب متنورون على تكراره خلال العقدين الماضيين، منذ أن هيمنت قوى الإسلام السياسي على الفضاء المجتمعي العربي الذي عمل على الإعلاء من فكرة الانتماء المذهبي على حساب الانتماء الوطني، وهو في ذلك لم يجد غضاضة في إعلان تعلقه أو ولائه لقوى إقليمية يراها ممثلة للمذهب الذي ينتمي إليه، بما في ذلك الانخراط في أجنداتها الخارجية.

قد لا يكون النصر المبين هو ما ستنتهي إليه تحركات العراق ولبنان بالضرورة. قد يؤدي استمرار القتل والاعتقال والخطف وإسالة الدماء في العراق إلى إنهاء التحرك بالقوة الغاشمة في لحظة من اللحظات، وقد تتمكن منظومة الفساد في لبنان من إشاعة حال من اليأس في صفوف المحتجين في الساحات، وتدسّ في صفوفهم من يحبط هممهم، وتشوّه صورة التحرك الشعبي وأهدافه، بالقول إنه مدعوم ومموّل من الخارج، وتكرار الزعم بأن المحاصصة الطائفية عصيّة على التفكيك لأن كيان البلد نفسه قائم عليها.

حتى اللحظة، فإن المؤشرات تشير إلى خلاف ذلك. ما زالت التحركات في البلدين رغم كل شيء تحافظ على زخمها بفضل شجاعة الشبان والشابات المرابطين في الساحات، وبالمستوى النوعي الذي بلغه وعيهم ب»تعفن» المنظومات التي ثاروا عليها. لكن إن نجح رهان الخصوم هذه المرة، فعليهم أن ينتظروا الجولة القادمة من الغضب، بعد شهور أو عام أو أعوام، حتى تأزف اللحظة التاريخية القادمة لا ريب فيها.

الانفجارات الكبرى تأتي في الكثير من الحالات عفوية، حين يفيض بالناس الكيل، لكنها سرعان ما تنتظم تحت قيادة محددة وبأهداف واضحة، وهذا ما علمتنا إياه الانتفاضة الشعبية المظفرة في السودان التي أسقطت حكم البشير، حيث تبنى اتحاد المهنيين الحراك الشعبي في مرحلته الأولى، وتالياً اتحدت القوى السياسية والنقابية في إطار «إعلان قوى الحرية والتغيير»، التي اتفقت، رغم ما بينها من تباينات في الفكر، على برنامج موحد.

التقدمي

المنبر التقدمي يجدد تضامنه مع نضال الشعب الفلسطيني ويندد بقرار الإدارة الأمريكية الداعم لبناء المستوطنات الإسرائيلية

جدد المنبر التقدمي في البحرين موقفة الثابت مع القضية الفلسطينية ومع نضالات الشعب الفلسطيني، من اجل اقامة دولته المستقلة وفق لقرارات الشرعية الدولية. وندد التقدمي بالقرار الأمريكي الجديد الذي شرعن المستوطنات الإسرائيلية، خلافا لكل القوانين والقرارات والأعراف الدولية. ويرى انه بهذا الموقف الرسمي تثبت الإدارة الأمريكية مجددا للمجتمع الدولي ليس انحيازها الكامل لإسرائيل فقط بل وشراكتها مع الكيان الصهيوني المحتل حيث ان القرار الجديد خطوة إضافية في سلسلة خطوات تهدف إلى إضفاء شرعية للاحتلال وتبرير توسعه عبر بناء مستوطنات جديدة على الأراضي الفلسطينية المحتلة والحيلولة دون حصول الشعب الفلسطيني لحقوقه المشروعة.

ويرى التقدمي ان ذلك يأتي استمراراً لما قامت به الإدارة الأمريكية قبل عام وتحديدا في السادس من ديسمبر من عام 2017 حين اعترفت بالقدس كعاصمة للكيان المحتل، وتمسكها منذ وصول الرئيس ترامب الى سدة الحكم بدعم ومساندة الكيان المحتل في كافة الخطوات التي يتخذها، بما فيها قصف المدن والقرى الفلسطينية وقتل المواطنين في بيوتهم الآمنة، وصولا الى اعلان الموقف الأمريكي الأخير الذي أجاز بناء المستوطنات في الأراضي المحتلة

ان المنبر التقدمي يؤكد بأنه لا يمكن لكل ضمير حي وصوت حر على هذه الأرض، ان يقبل هذه الممارسات المناقضة للشرعية الدولية، بل والمناقضة الى موقف الإدارات الأمريكية المتعاقبة التي أدانت بناء المستوطنات على مدى عقود الاحتلال الماضية.

ومما يؤسف له ان هذه القرارات تأتي في ظل تراجع واضح في الموقف العربي الرسمي من المقاطعة مع الكيان المحتل، وقد تمثل هذا التراجع بأشكال وصور مختلفة، مثل اشراك إسرائيل في اتفاقيات وتحالفات إقليمية أو مشاركات تجارية أو دعوتها لفعاليات تحت زعم التسامح الديني وكل ذلك في حقيقته ليس سوى محاولات اسرائيلية لاختراق المقاطعة العربية للكيان الغاصب والمحتل.

ان المنبر التقدمي في مملكة البحرين الذي يعتز بموقف شعب البحرين الرافض لكل أوجه التطبيع مع الكيان الصهيوني والذي تجلى في العديد من المناسبات والمواقف يرى بانه في ضوء الموقف الأمريكي الأخير ضرورة التعبير عن المزيد من المواقف الصريحة والواضحة ضد نهج الاحتلال مع ادانة رسمية للتصريحات التي أعلن عنها ماك بومبيو بشأن بناء المستوطنات، كما يدعوا إلى اتخاذ مواقف عربية جدية أكثر حزما ازاء الكيان الصهيوني المحتل، ووقف كافة أشكال المهادنة والتطبيع مع الكيان الإسرائيلي، ويطالب المنبر التقدمي الجهات الرسمية ذات الاختصاص إلى تمكين مؤسسات المجتمع المدني من التعبير عن موقفها الشعبي ضد الاحتلال والداعم دوماً للقضية الفلسطينية التي كانت وستبقى قضية العرب الأولى.

المنبر التقدمي - البحرين
٢٠١٩/١١/١٩

المنبر التقدمي يتضامن مع المطالب المشروعة للشعب الإيراني

إنطلاقاً من موقفه الثابت بالتضامن مع نضالات الشعوب ودعم الحق في حرية الرأي والتعبير، يعبر المنبر التقدمي في البحرين عن إدانته للقمع الوحشي الذي تعاملت به السلطات الإيرانية مع الجماهير المحتجة في إيران على السياسات الاقتصادية وأوجه الاستبداد.

فقد شهدت المدن الإيرانية في الأيام القليلة الماضية احتجاجات على رفع الأسعار وتفشي الفساد وسط الطبقة السياسية الحاكمة تداعت لها جماهير الشعب معبرة عن سخطها ورفضها للحالة المعيشية التي وصلت لها الطبقات الفقيرة والمعدمة، وداعية إلى عدم تحميل المواطن أعباء الازمة الاقتصادية والسياسية لنهج السلطة الحاكمة.

وبدل أن تبحث السلطات الإيرانية في الحلول والاجراءات الاقتصادية البديلة، واجهت المحتجين بآلة القمع والرصاص الحي، ما أودى بحياة عشرات المواطنين دون أي مبرر لهذه المجزرة الشنيعة ضد مواطنيها العزل، وبذلك فإن إن السلطات الإيرانية تثبت مجددا حقيقتها الاستبدادية وسطوة السلطة الدينية فيها على القرار السياسي والاقتصادي في إدارة شؤون الدولة .

يعلن المنبر التقدمي في البحرين وقوفه مع نضال الشعب الإيراني في مطالبه العادلة ونيل كرامته وحريته، مطالبًا بفتح تحقيق في جرائم القتل التي ارتكبتها الأجهزة الأمنية وإحالة من يقف وراءها إلى القضاء.

المنبر التقدمي
٢٠١٩/١١/٢٣

في مئوية منظمة تالعمل الدولية

الخور والمخرّق يتحدثان عن مستقبل الاقتصاد وأثره على الوظائف

نظمّ القطاع العمالي في «التقدمي» بتاريخ 27 أكتوبر الماضي ندوة بعنوان «مئوية منظمة العمل الدولية ومفهوم مستقبل العمل – قراءة في مستقبل الاقتصاد وأثره على الوظائف»، تحدث فيها الدكتور منذر الخور والرفيق يحيى المخرق.

تناول د. الخورعن تأسيس منظمة العمل الدولية في عام 1919 بعد الحرب العالمية الأولى وتتكون من ثلاثة أطراف (الحكومات/ أرباب العمل/ العمال ممثلين في نقاباتهم واتحاداتهم)، متوقفاً عند انحسار دور النقابات العمالية في الوقت الحالي وعزوف الأجيال الجديدة من العمال عن الانضمام في عضوية النقابات ليس في دول مايعرف دول العالم الثالث فحسب بل في أروربا والولايات المتحدة الامريكية أيضاً.

من جانبه تحدث الرفيق يحيى المخرق، رئيس قطاع النقابات العمالية والمهنية في المنبر التقدمي، عن بدء تطبيق الأتمتة والرقمنة والأدوات التي تستخدمها وتأثيرذلك على العمالة والاقتصاد وعلى واقع العمل وتحديداً العمال والموظفين حيث سوف يتم الاستغناء عن العديد منهم لينضموا إلى صفوف العاطلين.

كما أشار إلى متغيرات في طريقة وشكل إنجاز العمل، بما في ذلك أداء المهام الوظيفية من المنزل، بالإضافة إلى ما تقوم به الروبوتات من أعمال متنوعة سواء في المكتب أو البيت أو أي مكان، وما سوف ينجم عن هذه التحولات من تغيير في العديد من المفاهيم.

بالتعاون مع مختبر الفلسفة

ندوة عن خاتمة ابن خلدون

بمناسبة اليوم العالمي للفلسفة وبالتعاون مع مختبر الفلسفة والفكر النقدمي أقيمت في مقر «التقدمي» حلقة نقاشية حول فكر العلامة عبدالرحمن إبن خلدون أدارها المحامي محمود ربيع وقدّم فيها الباحث هشام عقيل ورقة بعنوان:»خاتمة ابن خلدون – قراءة في المفاهيم الأساسية للفرضيات الخلدونية» ، استعرض فيها جوانب مهمة من الفكر الخدوني من وجهة نظر فلسفية ماركسية، وتلت ذلك مناقشات مهمة حول الموضوع.

فضفضة

استنزاف الرمال البحرية

عيسى الدرازي

خلسة وبعيداً عن الأعين يتم تدمير البيئة البحرية. تقرير ديوان الرقابة المالية والإدارية الأخير جاء بتجاوزات خطيرة تتعرض لها البيئة البحرية في جانب مهم جداً وحيوي وهو العبث بالرمال البحرية، حيث أشار التقرير بالحرف الواحد إن التجاوزات التي سجلها فيما يتعلق باستخراج الرمال البحرية دون اتباع للاجراءات اللازمة من شأنه أن يؤدي إلى استنزاف الرمال والإضرار بالبيئة البحرية.

الحديث عن البيئة البحرية وصيانتها وتأمين الحماية اللازمة لها، يدفعنا للحديث عن التعاطي الرسمي مع الإجراءات التي اتخذتها لحماية البيئة البحرية حيث إنها أرجعت أهم أسباب تدني الانتاج السمكي هو التأثير السلبي لطريقة الصيد عبر الجرف التي يتعبها صيادو الروبيان، وهي طريقة قد تكون ضارة بالبيئة البحرية ولكنها ليست هي السبب الوحيد في تدمير البيئة البحرية والذي جاء في تقرير الرقابة المالية والإدارية أخطر بكثير من طريقة الصيد عبر الجرف، لأنها تستهدف البيئة الحاضة للكائنات البحرية عبر تدمير بيئتها وشفط رمالها.

تجاوزات خطيرة جاء بها القرير نأتي على ذكر البعض منها، حيث تمت الإشارة إلى أن تجديد تراخيص شركات استخراج الرمال البحرية حصل دون موافقة الجهات الحكومية، وأشار التقرير كذلك إلى عدم تحديد أساس واضح لكميات الرمال البحرية المسموح باستخراجها لكل ترخيص، والحال الآن أن كل شركة تتقدم بطلب استخراج الرمال بالكميات التي تحددها هي دون توافر المعلومات والبيانات لدى الجهة المعنية حول الكميات الموجودة أساساً في المواقع المراد استخراج الرمال منها، وهو ما أكده التقرير بأنه يؤدي إلى استنزاف الرمال والإضرار بالبئة البحرية في تلك المواقع. كما أن الرقابة والتفتيتش على عمليات استخراج الرمال البحرية معدومة أو ضعيفة حسب وصف التقرير، الذي أشار إلى عدم وجود آلية واضحة تنظم عملية مراجعة التقارير المقدمة من المكاتب الاستشارية حول سير عمليات استخراج الرمال، بالإضافة إلى ضعف الإشراف على عمليات استخراج الرمال البحرية لمشاريع ردم البحر، وعدم وجود خطط وبرامج تنظم أعمال التفتيش على مواقع استخراج الرمال البحرية.

إنها سياسة الكيل بمكيالين. بهذه الطريقة تدار الردود الرسمية، ففي مسألة منع صيادي الروبيان من الصيد بالطريقة التي عرفوها من آبائهم والتبرير بأن ذلك يؤدي إلى تدمير البيئة البحرية ومصائد الاسماك والمكامن اليحيوية التي تسهم من زيادة الانتاج السمكي، ذات الجهات الرسمية هي من يوجه لها تقرير الرقابة المالية والإدارية سهام التقصير وضعف الرقابة لأنها سكتت عما يجري أمام ناظريها من انتهاكات بيئية خطيرة، وإن كانت الدولة هي المسؤولة عن الرمال البحرية إلا إنها حق عام يجب حمايتها من العبث.

في اليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة

قطاع المراة بـ«التقدمي» يطالب بإلغاء المادتين 334 و353 من قانون العقوبات

يحتفي العالم في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر من كل عام باليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة، وفي هذا العام تبنت الأمم المتحدة شعار "لون العالم برتقالياً: جيل المساواة يقف ضد الاغتصاب" وذلك لتعبئة المجتمع المدني والناشطين والحكومات ومنظومة الأمم المتحدة لمنع العنف وإنهائه على المستويات العالمية والإقليمية والوطنية ولمنع الإفلات من العقاب.

إن المنبر التقدمي ممثلاً في قطاع المرأة والتزاماً بدوره الطليعي في الذود عن حقوق المرأة في البحرين، يستغل هذه المناسبة ليرفع صوته عالياً لكل قوى التقدم والمؤسسات الرسمية ومنظمات المجتمع المدني، من أجل أن يتكاتف الجميع ضد ظاهرة العنف المستشرية ضد المرأة في مجتمعنا، فعلى الرغم من التقدم الذي شهدته مملكة البحرين بانضمامها لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو)، وصدور قانون الحماية من العنف الأسري إلا أن هناك بعض النواقص والعيوب التي لم يتم معالجتها بعد أهمها:

عدم النص على عقوبات فعالة على مرتكبي الإغتصاب الزوجي في ظل عدم إلغاء المادتين 334، و353 من قانون العقوبات، ونحن كقطاع نسائي نقف وقفة جادة ومعنا الإتحاد النسائي البحريني وكل القوى الفاعلة في مؤسسات المجتمع المدني في المملكة نثمن عالياً جهود المجلس الأعلى للمرأة في وضع الإطار الموحد لخدمات الإرشاد والتوعية الأسرية ضمن خطة 20/20 الخطة الوطنية للنهوض بالمرأة البحرينية.. أمام تحقيق مطالب النساء اللاتي يعانين من العنف المنزلي بكل أشكاله وألا تقف العادات والتقاليد عقبة أمامهن للبوح به وعدم التستر عليه، كما ندين ونستنكر بشدة كل الإنتهاكات التي تتعرض لها النساء في العمل والشارع والمجتمع، ونطالب أصحاب صانعي القرار بأن يضعوا حداً لوقف العنف ضد المرأة والفتيات وذلك بـ :

- إلغاء تحفظات مملكة البحرين على اتفاقية السيداو وتعديل القوانين والتشريعات بما يتلاءم مع بنود الاتفاقية.
- حق المرأة البحرينية المتزوجة من أجنبي في منح جنسيتها لأبنائها.
- العمل على مكافحة العنف بكافة أشكاله ومعاقبة مرتكبيه وتوفير الدعم الكامل للمتضررات اقتصادياً وقانونياً ونفسياً.
- إسقاط المادة 353 من قانون العقوبات والتي تمكن المغتصب من الإفلات من العقاب بعد الزواج من الضحية.
- العمل على تطوير التشريعات العمالية بما يعزز مشاركة المرأة في سوق العمل ويضمن حقوقها الاقتصادية والاجتماعية.
- إجراء التعديلات الخاصة ببعض أحكام قانون الأسرة الموحد وقانون الحماية من العنف الأسري والتي تعاني منها النساء أمام المحاكم الشرعية.

وبهذه المناسبة نُحيي كل نضالات الحركة النسائية العالمية بوجه عام والحراك النسائي البحريني بوجه خاص من أجل مستقبل أكثر إشراقاً وعالماً خال من العنف ضد المرأة في سبيل تحقيق المساواة والتنمية والسلام لنتمكن من تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

إيمان شويطر تتحدث عن مناهضة العنف ضد المرأة

شاركت رئيسة قطاع المرأة إيمان شويطر في لقاء مع قيادات نسائية عربية مهتمة بقضايا المرأة بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة في برنامج حواري استضافته قناة «الحرة»، وقد تركزت المناقشات حول شعار الأمم المتحدة الذي اختارته لهذا اليوم هذه السنة، وهو «جيل المساواة يقف ضد الاغتصاب»

واستعرضت الرفيقة إيمان حملات ومبادرات الاتحاد النسائي البحريني والجمعيات المنضوية فيه، وجهود قطاع المرأة في «التقدمي» بهذا الخصوص، ومطالبة مراكز اتخاذ القرار لوضع تدابير للحد من تفاقم ظاهرة العنف بجميع أشكالها الجنسي والنفسي.

وجرى التوقف أمام ما يبذل من جهود في التخفيف من هذه الظاهرة بتمكين المرأة وتوفير السكن الخاص للمطلقات والأرامل ووضع الإطار الموحد لخدمات الإرشاد والتوعية الأسرية، ضمن الخطة الوطنيه للنهوض بالمرأة البحرينيه 2030 .

المحامية زهراء حسن عبدالله تحاضر عن الطلاق وتداعياته بين التشريع والتطبيق

بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة الذي يصادف 25 نوفمبر من كل عام، نظمّ قطاع المرأة في المنبر التقدمي بتاريخ 24 نوفمبر 2019 ندوة بعنوان (الطلاق وتداعياته بين التشريع والتطبيق) تحدثت فيها المحامية زهراء حسن عبدالله، وأدارتها الرفيقة حياة الموسوي.

تحدثت المحاضرة عن الطلاق وتداعياته بين التشريع والتطبيق من واقع العمل وممارسة المهنة وما يجرى في المحاكم الشرعية، والحالات التي تصلها بصفتها وكيلة عن العديد من المطلقات، وأوضحت بأن عدد حالات الطلاق لعام 2019 التي سجلت في البحرين وصل إلى 4160 حالة.

عددت المحاضرة أركان الطلاق الأربعة، موضحة أن الطلاق نوعان رجعي وبائن، قبل أن تعرج على أسباب التطليق، وهي التطليق لعدم الانفاق، التطليق للغياب والفقدان، التطليق للحبس والتعاطي، كما توقفت عند الآثار النفسية للطلاق على الأبناء، وكذلك أضراره على الزوجين، وبينها الأضرار النفسية والاجتماعية والاقتصادية، ناهيك عن المشاكل التي تنجم عنه.

تناولت المحاضرة أيضاً أحكام النفقة بين التشريع والتطبيق، أحكام الحضانة بين التشريع والتطبيق، أحكام الخلع بين التشريع والتطبيق.

المحاميان محمد العثمان ومحمد فتيل يناقشان الحق في حرية الرأي والتعبير

نظمت اللجنة القانونية في المنبر التقدمي بتاريخ 3 نوفمبر 2019 ندوة بعنوان (الحق في حرية الرأي والتعبير تحدث فيها المحامي محمد فتيل عضو مجلس إدارة جمعية المحامين والمحامي الكاتب محمد العثمان.

تناول المحامي محمد فتيل تعريف مبدأ حرية الـرأي والتعبير، ففي المجتمعات الديمقراطية تتسع الحريات العامة، وبالأخص منها حرية الـرأي والتعبير المنصوص عليها في المواثيق الدولية والدساتير وفي مثياق الامم المتحدة، وتضيق مساحة حرية الرأي والتعبير في الدول الاستبدادية والشمولية.

المحامي محمد العثمان قدّم عرضاً تاريخياً لمفهوم حرية الـرأي، حيث يجب ضمانة حق الأفراد في التعبير بمستويات مختلفه مثل التعبير بالكتابة أو الرسم او الشعر وما إلى ذلك بدءاً من الحضارات القديمة ومروراً بالأديان، بما في ذلك في الإسلام. وعرج المحاضر على موقف المنظمات العالمية التي اهتمت بضمان حرية التعبير للأفراد، وكذلك على دساتير الدول التي صادقت على المادة 19 من العهد الدولي والتي تعطي حق التعبير وحرية الرأي ، بما فيها تجربة مملكة البحرين.

فرق بين التوجه الوطني والطائفي

جواد المرخي

لقد عانى المجتمع العربي من التمزق الطائفي جراء هيمنة أنظمة عربية تنساق وراء التوجهات الاستعمارية القديمة والحديثة وأيضاً فصائل وقوى مجتمعية غارقة في أفكار الطائفية لدرجة التعصب والتطرف وما يحصل في لبنان والعراق وكان في السودان ابان حكم الدكتاتور عمر البشير وفي دول عربية أخرى أمثلة على ذلك.

التوجهات الطائفية التي ترعاها قوى الإسلام السياسي اليوم تصبّ لصالح قوى معينة إما أنها في سدة الحكم أو أنها مهيمنة على حركات اجتماعية تسعى للوصول لأجندتها وأفكارها الطائفية، على حساب العمل الوطني المشترك، منساقة وراء التوجهات الإقليمية والعالمية.

إن الطائفيين هم دائماً في حالة من التعصب الأعمى، لذلك لا يمكن أن يخدموا الإصلاح السياسي الحقيقي الذي يفضي للتغيير المؤدي للديمقراطية واستتباب الأمن المجتمعي عبر تطبيق مبادىء المواطنة والعدالة الاجتماعية.

إن ما يحدث اليوم في بعض البلدان العربية وغيرها من تمزيق النسيج الوطني والاجتماعي جراء التوترات الطائفية يخدم بعض الأنظمة والقوى العربية أو الإقليمية التي ليس في نهجها الاعتراف بالفكر الآخر والقوى الوطنية الأخرى، وقد عملت الطائفية إن كانت بفعل أنظمة أو قوى مجتمعية على تمزيق الأنشطة الجماهيرية في وسط المجتمعات المدنية، كما ساهمت في تهميش أنشطة الحركة العمالية والنقابية مما سهل على القوى الرأسمالية وأعوانها الانقضاض على مصالح وحقوق العمال وسائر الشغيلة.

وقد ساهمت الطائفية بأحزابها الحاكمة في تفشي الفساد في بعض الدول العربية جراء المحاصصة الطائفية مما جعل غالبية المواطنين في هذه المجتمعات العربية تعيش أوضاعاً سيئة نتيجة ارتفاع نسبة الفقر والحرمان والبطالة والجـوع جـراء سرقة المال العام وبعثرة ثروات الشعوب العربية وهذا ما أشعل فتيل الانتفاضات العربية عام 2011 وما يحدث اليوم في الجزائر والسودان ولبنان والعراق من تحركات جماهيرية في سبيل التغيير الديمقراطي الحقيقي.

إن الشعارات الطائفية الرنانة التي تدغدغ مشاعر الجماهير العفوية في مناطق عربية عديدة لا تخدم إلا المصالح الضيقة لأمراء الطوائف الذين ليس من مصلحتهم تقوية النسيج الوطني وتوحيد المجتمعات في هوية وطنية، بل أنهم قد يستغلون القوى الوطنية والديمقراطية لتمرير أهدافهم، وان هيمنوا فإنهم لا يعطون المجال للقوى الوطنية أن تعمل في صفوفهم، ويستحوذون على كافة المواقع التي بوسعهم الوصول إليها، مثل كراسي البرلمانات أو الوزارات وقد حصل هذا في البحرين في الانتخابات النيابية أكثر من مرة.

في ندوة مشتركة بين «القومي» و«التقدمي»
تقرير ديوان الرقابة ...ماذا بعد ؟

نظم المنبر التقدمي والتجمع القومي ندوة بتاريخ 10 نوفمبر 2019 في مقر «التقدمي» ندوة بعنوان (تقرير ديوان الرقابة ... مابعد؟) تحدث فيها النائب الأول لمجلس النواب عبدالنبي سلمان والدكتور حسن العالي عضو الأمانة العامة في التجمع القومي.

توقف د.حسن العالي مطولاً أمام مبدأ الحوكمة، الذي بدونه لن يتغير الوضع، رغم أهمية ما جاء في التقرير من رصد لوقائع الفساد والتجاوزات المالية والإدارية، لكن ذلك لن يكون كافياً إن لم يتم إرساء أسس الحوكمة في عمل الدولة والعمل بمقتضياته المختلفة.

النائب عبدالنبي سلمان قال: "منذ 16 سنة ونحن نتحدث عن المخالفات في تقرير ديوان الرقابة المالية والإدارية والعديد منها يتكرر في كل عام دون أن يُفعل شيء لإيقافها ومحاسبة المسؤولين عنها"، مشيراً إلى الخروقات في المناقصات، وإلى تجاوزات في العديد من الوزارات وبعضها فاقت ماهو مقرر لها من أموال بملايين الدنانير. كما تحدث عن تعيينات في بعض الوزارات الحكومية لم تعرض على ديوان الخدمة المدنية.

وأشار سلمان إلى توجه لدى كتلة "تقدّم" وبعض النواب الآخرين للوقوف أمام ما ورد في التقرير، كي لا يمر بدون فعل حقيقي تجاه تلك المخالفات ولكي يتعرض المسؤولون عن المخالفات والتجاوزات للمساءلة القانونية.

حلقة نقابية حوارية حول تعديلات قانون العمل

أقام قطاع النقابات العمالية والمهنية واللجنة القانونية وحقوق الانسان في «التقدمي» حلقة حوارية تشاورية تهدف الى استطلاع آراء النقابيين في قانون العمل رقم 36 لسنة 2012، وتعديلاته اللاحقة والقوانين ذات العلاقة.

وقدّم الأمين العام المساعد للتشريع والدراسات للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين جمعة البنخليل مرئيات الاتحاد بشأن القوانين والمواد المعيقة.

كما قدم النائب عن كتلة «تقدّم» فلاح هاشم عرضاً عن التعديلات المتعددة التي قدّمها على قانون العمل وشرح اسباب تقديمها منفردة والذي يعطي المجال لتسريع اقرارها بالأخص ان هناك اجماعاً على قضايا البحرنة والتوجه إلى معالجة أزمة البطالة.

وستقوم اللجنة القانونية بترجمة المرئيات التي طرحت بالإضافة إلى دراسة سابقة أعدّتها اللجنة إلى مشروع بقانون لتعديل قانون العمل تقدمه كتلة «تقدّم».

لجنة البيئة تنظم
ورشة حول النظم الحديثة في الزراعة

نظمت لجنة البيئة في المنبر التقدمي بالتعاون مع جمعية المهندسين الزراعيين بتاريخ 2019/11/23، ورشة عمل حول استخدام النظم الحديثة في الزراعة المنزلية، تحدث فيها المهندسان فؤاد حبيب وعباس البحراني، حيث استعرض الأول كيفية الزراعة في المنزل بدون تربة، وأنواع النباتات والخضروات واستخدام التقنيات في الزراعة المنزلية، وكذلك العناصر الغذائية الضرورية للنباتات، ومواصفات البيئات الجيدة.

فيما تناول المتحدث الثاني دمج الزراعة المائية والزراعة السمكية، دون استخدام محاليل كيمائية في الزراعة، فيما يعرف بنظام الزراعة الحيومائية، مستعرضاً العديد من الأنظمة والطرق والعناصر فيه.

بحضور شخصيات وطنية مستقلة

8 جمعيات سياسية تناقش واقع ومستقبل العمل السياسي في البحرين

أوراق عمل تتناول المعوقات والتحديات وتقترح الحلول

أربيناءًا على مشاورات تمت بين بعض الجمعيات السياسية، عُقدت ورشة عمل بمقر المنبر التقدمي حول واقع ومستقبل العمل السياسي في البحرين، شارك فيها ممثلون عن ثماني جمعيات سياسية وهي: المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، الوسط العربي الإسلامي، التجمع الوطني الدستوري، الصف الإسلامي، التجمع القومي الديمقراطي، تجمع الوحدة الوطنية، التجمع الديمقراطي الوحدوي، بالإضافة لشخصيات وطنية مستقلة وهم: د. علي فخرو، د. محمد الكويتي، فوزية مطر، محمود القصاب، عبدالله الحويحي، علي الفضلي. وقد بلغ عدد المشاركين ٤٠ مشاركاً حيث تحاور الحاضرون وأبدوا مرئياتهم حول محاور الورشة التي عُرضت من خلال أربع أوراق عمل هي:

1- واقع العمل السياسي مقدمة من التجمع القومي الديمقراطي.

2- معوقات وتحديات العمل السياسي - ورقة أولى مقدمة من المنبر الوطني الإسلامي.

3- معوقات وتحديات العمل السياسي - ورقة ثانية مقدمة من المنبر التقدمي.

4- مستقبل العمل السياسي مقدمة من جمعية الوسط العربي الإسلامي.

تطرق المشاركون من خلال مداخلاتهم إلى ما تعانيه الجمعيات السياسية حالياً من تضييق حدّ من نشاطها مما أدى إلى إنحسار عمل بعض الجمعيات السياسية، كما أكدّوا على ضرورة تجاوز هذا الواقع والعمل على تذليل العقبات والدفع بالعمل المشترك بين الجمعيات السياسية بما يخدم مسيرة العمل الوطني والمشروع الإصلاحي.

وأكدّ المشاركون على تمسكهم بنهج الإصلاح السياسي والدستوري بما له من أثر كبير في ترسيخ العمل السياسي بما يتناسب مع المبادئ والقيم الحضارية ويعزز الانفتاح السياسي والنهج الديمقراطي في البلد. ومن جانب آخر أكدّ المشاركون على أهمية العمل والتعاون المشترك بين الجمعيات السياسية بما يحفظ ويعزز الوحدة الوطنية.

عبدالصمد النشابة: تجاهل إعلامي لأنشطة الجمعيات السياسية

تناولت الورقة الأولى التي قدّمها الأستاذ عبدالصمد النشابة عن التجمع القومي الديمقراطي واقع العمل السياسي في البحرين، حيث استعرض فيها لمحة تاريخية عن تطور العمل السياسي منذ الاستقلال في أغسطس 1971 حتى الآن، ولاحظت الورقة أن «جميع الجمعيات السياسية في البحرين تعاني ليس فقط من التهميش الرسمي وانقطاع الدعم المالي، بل وحتى التجاهل من قبل الصحافة والإعلام حيث لا يتم تغطية نشاطاتها ومواقفها إضافة إلى حرمانها من المشاركة في المنتديات الوطنية والحكومية برغم أنها يفترض أن تمثل شريكاً أساسياً في المجتمع».

وقالت الورقة إن أجواء الإحباط السياسي والتجاهل الرسمي أثارت إحباطاً مماثلاً لدى أعضاء الجمعيات السياسية حيث إزداد العزوف والابتعاد عن العمل السياسي، كما تشهد نشاطات الجمعيات ضعفاً بالمجمل، وهو الأمر الذي يجب التوقف أمامه.

وأضيف إلى هذا المشهد، تدهور الوضع الإقتصادي الذي يتجه لاتخاذ المزيد من الخطوات التقشفية والسياسات النيوليبرالية التي تستنزف جيب المواطن وفقاً لبرنامج التوازن المالي الذي تتبناه الحكومة في برنامجها المقدم للبرلمان

يتبع

يتبع

للسنوات الأربع القادمة ومرره البرلمان. وجاء الإعلان عن ميزانية الدولة للعامين 2019 و2020 لتجسد بالأرقام تلك الخطوات والسياسات التي وردت في البرنامج الحكومي، أهمها بروز ملامح تخلي الدولة التدريجي عن دورها في دعم الأنشطة الأساسية للمواطن مثل الصحة والتعليم والاسكان، حيث انخفضت الموازنة المخصصة لجميع هذه القطاعات في حين لم تمس ميزانيتي الدفاع والأمن، كما برز في الميزانية لأول مرة إدخال سياسة فرض الضرائب على المواطنين دون توسيع دورهم في المشاركة وفي توسيع الحريات السياسية. كذلك تحول دور الدولة إلى منظم للاقتصاد وليس مشارك فيه».

خالد القطان: 17 سبباً وراء انحسار النشاط السياسي

وتناولت الورقة الثانية التي قدّمها الأستاذ خالد القطان عن المنبر الوطني الإسلامي نبذة عن نشأة الجمعيات السياسية ودورها وواقعها الراهن والتحديات التي تواجهها وما هو مطلوب منها ومن المجتمع والدولة. وتحت عنوان «التحديات التي تواجهها الجمعيات السياسية» عرضت الورقة 17 سبباً وعاملاً أدت إلى انكفاء الجمعيات السياسية والمجتمع المدني، ومن أهمها:

1- حالة الاحباط العام التي تسود نشطاء المجتمع المدني من نجاح المشاركة السياسية.

2- تعقيدات الوضع السياسي والأمني في المنطقة والإقليم والصراعات الدائرة والتي لها تأثير على نفسية النشطاء المحليين.

3- تعامل المؤسسات الحكومية مع الجمعيات السياسية وكأنها آفة دخيلة على المجتمع ينبغي محاربتها والتوجس منها.

4- الشعور العام لدى أعضاء الجمعيات السياسية والمجتمع بأن المنتمي لأي جمعية سياسية سيتم معاقبته من قبل المسئولين في السلطة التنفيذية بالإبعاد أو عدم التعيين أو عدم الترقية.

5- قلة الموارد المالية والبشرية وعدم وجود إمكانات مادية مثل المقار والقاعات التي تساعدها على إقامة الفعاليات المختلفة.

6- قانون الجمعيات السياسية يغلب عليه القيود والرقابة ويفتقد للمساندة والدعم من الدولة للجميعات لتأدية دورها.

7- منع الجمع بين عضوية أكثر من جمعية أو نادي وإبعاد أعضاء الجمعيات السياسية من التعيينات في الشورى حسب الأمر الملكي رقم 57 لسنة 2018.

8- سياسات بعض الجهات الرسمية التضييق على حرية الرأي والتعبير وحق التظاهر مما حصر دور الجمعيات في إصدار البيانات وإحياء المحاضرت والندوات في مقارها.

9- عدم وجود تعاون وتنسيق بين الجمعيات السياسية حول القضايا الوطنية أو المواقف السياسية المختلفة.

وطالبت الورقة الدولة والمجتمع من ضمن أمور عديدة باالأمور التالية:

أولاً: الالتزم بما حواه ميثاق العمل الوطني والدستور من بنود وفقرات تنص على تغليب الديمقراطية وإطلاق الحريات العامة واحترام حقوق الإنسان وسيادة العدالة وتحقيق الرفاه الاقتصادي للمواطن.

ثانياً: ينبغي على الدولة أن تمضي قدماً في نهج الانفتاح والشفافية وتحمل آراء وانتقادات القوى السياسية بنفس طويل.

محمود ربيع:

المعوقات القانونية بوجه العمل السياسي

واستعرضت الورقة الثالثة المقدمة من المحامي محمود ربيع عن المنبر التقدمي المعوقات القانونية للعمل السياسي التي تضمنها قانون الجمعيات السياسية وبعض مواد قوانين أخرى. وتناولت الورقة جهود «التقدمي» من أجل أن يكون هناك قانون أفضل ينظم الحياة الحزبية في البحرين، حيث قام بصياغة مشروع باسم قانون التنظيمات السياسية ليكون بديلاً عن مشروع قانون الجمعيات السياسية قبل إقراره والذي نوقش من قبل الجمعيات السياسية التي أقرت بعد الأخذ بملاحظاتها وتعديلاتها مقترح «التقدمي» الذي يعكس إلى حدود بعيدة رؤية الغالبية إن لم يكن جميع الجمعيات السياسية. حيث رأت الجمعيات أنه مشروع قانون متقدم ينظم آلية العمل الحزبي بما ينسجم ويليق بالتقاليد السياسية في البلاد وبالطموح المنشود لمستوى الحريات السياسية بوصفها شرطاً لإرساء عملية التحول نحو الديمقراطية على أسس راسخة.

وعددت الورقة القيود الواردة في قانون الجمعيات السياسية ومن أهمها تجاهل حقوق التنظيمات السياسية في عقد الاجتماعات العامة والمؤتمرات حيث أن دور الجمعيات السياسية، لأن دور الجمعيات السياسية يجب ألا ينحصر في المشاركة في الانتخابات بل يتعداها للمساهمة في رفع مستوى الوعي الاجتماعي والثقافي والسياسي بما يؤهل الجماهير للمشاركة في الشؤون العامة والتمتع بالحقوق السياسية وممارستها بشكل ديمقراطي وعقلاني على أساس الوحدة الوطنية والسلم الاجتماعي.

وتوقف ربيع أمام حقيقة أن ربط القانون رقم 34 لسنة 2014 بتعديل بعض أحكام قانون الجمعيات السياسية الخاص بحق الجمعيات في إصدار نشرات دورية للتعبير عن مبادئها وأهدافها وبرامجها وذلك بترخيص يصدره الوزير المختص بشؤون الإعلام بقانون الصحافة قد وضع قيوداً وشروطاً على الجمعيات السياسية دون سبب مقنع سوى القول بأن ذلك متروك لقانون الصحافة، وهو أمر يتناقض تماماً مع طبيعة الصحافة الحزبية واختلافه عن الصحافة العادية.

كما تضمن قانون الجمعيات السياسية شروطاً غير دستورية وقيوداً إجرائية غير مبررة لتأسيس وتسجيل الجمعية السياسية مما يعد إخلالاً بحق المواطنين في تكوين التنظيمات السياسية وفق ما هو ثابت في الدستور وميثاق العمل الوطني وذلك باشتراطه الموافقة الإدارية على تأسيس الجمعية. كما يصادر القانون حق الجمعيات السياسية في العمل ويجيز تجميد شخصيتها الاعتبارية لمجرد أن يقدم الوزير طلباً من المحكمة بإيقاف نشاط أي جمعية سياسية لمدة ثلاثة أشهر. كما تضمن القانون قيوداً وإجراءات وشروطاً من شأنها الحد من الموارد التمويلية للجمعيات. وبالرغم من أن القانون قد نص في مادته رقم 14 على «وتساهم الدولة بتقديم الدعم المادي للجمعيات السياسية وفق معايير محددة وعادلة في حدود الاعتماد المدرج في الميزانية العامة للدولة» إلا أن المعايير التي تم اعتمادها قد حرمت معظم الجمعيات السياسية من ذلك الدعم مما أدى إلى الحد من نشاطها بشكل عام وفقدان بعض الجمعيات لمقارها وحل بعضها لنفسها.

واختتمت الورقة بأن ممارسة النشاط السياسي العلني والإقرار بالتعددية الحزبية تعد من السمات الرئيسية البارزة لأي تحول ديمقراطي، ولو توفر لهذه التعددية الحزبية الإطار القانوني الصحيح في مملكة البحرين المتفق وأحكام الدستور والمستجيب لمبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والاتفاقيات والمواثيق الدولية المرتبطة به لكانت من أهم الخطوات التشريعية اللازمة لمرحلة التحول الديمقراطي.

فالأحزاب السياسية فضلاً عن دورها الهام والأساسي في بناء الديمقراطية، تعد من أهم مؤسسات المجتمع المدني التي تقوم من خلال برنامجها السياسي بتحديد الأهداف وتنظيم وترتيب الأفكار والمبادئ السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تسعى إلى تحقيقها، فتعمل على مساعدة الناخبين في تكوين آرائهم السياسية، وفي إعادة صياغة وعي المواطنين باتجاه أهمية حرية الرأي وأهمية الأطر التنظيمية التي تعبر عن هذه الحرية، وهي بذلك تشكل مع يقظة المعارضة النيابية حائلاً دون إساءة الحكومة في استعمال السلطة، فتسهم بالتالي في تحقيق التقدم السياسي والاجتماعي والاقتصادي في المجتمع، فتكافح البطالة والفقر والفساد وتجعل من مشاركة المواطن في ممارسة حقوقه وفي الحياة السياسية مشاركة فاعلة وواعية.

يتبع

يتبع

راشد الجودر: توقعات للمشهد السياسي المقبل

تناولت الورقة الرابعة المقدمة من الاستاذ راشد الجودر عن جمعية الوسط العربي الإسلامي مستقبل العمل السياسي في البحرين، وبعد أن عرضت الورقة المعطيات على المستوى الحكومي الرسمي ومعطيات السلطة التشريعية والمعطيات المتعلقة بالجمعيات السياسية ومعطيات الجانب الإعلامي، أوردت الورقة التوقعات المستقبلية للعمل السياسي ودور الجمعيات السياسية فيه وذلك عبر خمسة محاور:

أولاً: الحكومة: من المتوقع أن تشهد المرحلة القادمة مزيداً من أشكال التضييق، والمحاصرة للجمعيات السياسية، بهدف المزيد من التحييد لمواقفها وتمييع دورها، وفي أسوأ التوقعات إنهاء وجودها إذا ما فشلت جهود المحاصرة والتحييد، إما بقرارات ذاتية أو وفق أحكام قضائية، وهو ما شهدنا بوادره خلال الفترة المنصرمة، مما يؤدي إلى فراغ ساحة العمل السياسي من أي وجود لكيانات سياسية مستقلة تمارس دورها في الرقابة والمحاسبة للسلطة التنفيذية، وتشكل نوعاً من المعارضة التي تساهم في منح الشرعية لأي نظام حكم ديمقراطي على المستوى الدولي.

ثانياً: السلطة التشريعية: من المتوقع أن تشهد التجربة الديمقراطية خلال الفترة القادمة انحساراً في الدعم الجماهيري لها، وعزوفاً عن المشاركة في العملية السياسية، ترشحاً وانتخاباً، مع تدني مستوى المترشحين من حيث الكفاءة والخبرة السياسية والقدرة على التصدي لمطالب الجماهير والدفاع عن حقوقهم، مع تحول مجلس النواب من سلطة تشريعية مستقلة، إلى مجرد هيئة تسير في فلك السلطة التنفيذية، وتتلقى الأوامر منها، ومن غيرها من الجهات المتنفذة. كما من المتوقع أن تشهد المرحلة القادمة، تراجعاً لهيمنة المراجع الدينية، ورجال الدين

من الطائفتين على الساحة الانتخابية، ويفتقدون تأثيرهم على الناخبين.

ثالثاً: الجمعيات: من المتوقع أن تشهد الكثير من الجمعيات السياسية مزيداً من التخبط في ممارستها للعمل السياسي مما يؤدي إلى تأكيد وترسيخ فشلها، ويقود إلى إنهاء دورها ووجودها. مع احتفاظ البعض منها بوجود شكلي، بعدما تخلت عن دورها السياسي ووظيفتها في المراقبة والمحاسبة، وفقدت رصيدها الجماهيري، وبالتالي تأثيرها في المشهد السياسي. وكل هذا يفوت على البلاد، حاضراً ومستقبلاً الفرصة لتدعيم خاصية فريدة في المجتمعات التي تمر بأزمة مكونات، وهي فكرة الدبلوماسية الشعبية، التي تتبلور في ظل مجتمع مدني قوي يكون علي رأسه منظومة من الأحزاب والتنظيمات السياسية.

رابعاً: الجماهير: يمكن تلخيص التوقعات بالنسبة لموقف الجماهير فيما يلي:

1- أن تشهد المرحلة القادمة مزيداً من المواقف السلبية تجاه الجمعيات السياسية، وخاصة من قبل الشباب.

2- تفاقم شعور الجماهير بعدم الثقة في الجهاز الحكومي، وفي مجلس النواب، مع تزايد المشاكل المعيشية وعدم إيجاد الحلول الملائمة لها.

3- أن تجد الجماهير نفسها مرغمة على تجاوز كل القوى السياسية والمؤسسات المعنية بحقوقها ومطالبها، متحدية كل القوانين والأنظمة، لتعلن عن مطالبها وتدافع عن حقوقها بشكل مباشر عبر النزول إلى الشارع، مستلهمة تجارب الشعوب في عدد من الدول العربية الأخرى.

وبعد عرض أوراق العمل ومناقشتها وإبداء المشاركين لمرئياتهم والتحاور حول موضوع الورشة، خرجت الورشة بالعديد من التوصيات التي تساهم في تجاوز التحديات التي تواجه الجمعيات السياسية وتؤدي إلى زيادة فاعليتها ومشاركتها في الشأن العام، وتطوير التجربة الديمقراطية بما يخدم المصلحة العامة للبلاد. وتمّ الاتفاق على أن تقوم الجمعيات بمتابعة وتنفيذ تلك التوصيات.

التوصيات الصادرة عن الورشة

1- العمل على مزيد من التنسيق والعمل المشترك فيما بين الجمعيات السياسية من أجل إعادة الحيوية للحياة السياسية في البلاد.

2- أن تكون قضية الوحدة الوطنية في صدارة اهتمامات الجمعيات السياسية.

3- تسعى الجمعيات السياسية لبلورة مواقف جماعية ومطلبية يتم عرضها على الحكومة والرأي العام للوصول إلى بدائل وحلول مناسبة والاهتمام بقضايا المجتمع والسعي لتحسين أوضاعهم المعيشية ونيل حقوقهم وحرياتهم وتحقيق العدالة الاجتماعية.

4- تمسك الجمعيات السياسية بنهج الإصلاح السياسي والدستوري والخيار الديمقراطي كأحد الثوابت الوطنية الأساسية وبكونه أحد أهم حقوق شعبنا الذي أكد عليها الدستور وميثاق العمل الوطني.

5- العمل على تحقيق المصالحة والوئام في المجتمع البحريني والعمل بكل السبل الممكنة بترسيخ التلاحم الوطني والوقوف صفاً واحداً وسداً منيعاً في وجه الأخطار والتدخلات الخارجية التي تهدد حاضر ومستقبل بلدنا.

6- تتمسك الجمعيات السياسية بخيار الحوار الوطني الشامل كخيار استراتيجي للوصول إلى حلول سياسية توافقية لكل القضايا الوطنية بعيداً عن لغة التطرف والغلو أو اللجوء إلى العنف في تحقيق المطالب المشروعة.

7- أن تعمل الجمعيات السياسية على ابتكار أساليب عمل جديدة بالتواصل مع الجماهير وخاصة الشباب منهم مع أهمية تكثيف استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لهذا الغرض.

8- تهيئة وخلق جيل جديد من الشباب لقيادة الجمعيات السياسية مع الاستفادة من الخبرات المتراكمة التي يمتلكها الجيل السابق عن طريق تداول المناصب القيادية.

9- العمل على رفع القيود والممارسات التي حالت دون انخراط الشباب والأكاديميين وغيرهم في الجمعيات السياسية.

10- تبني قضايا الشباب وتعزيز ثقتهم في الجمعيات السياسية.

11- التنسيق والتواصل مع الجمعيات المهنية لتبني القضايا التي تطرح من قبلهم.

12- تشكيل لجنة من الجمعيات السياسية للتناغم مع ما يطرحه النواب وإيصال صوت الجمعيات والمواطنين.

13- استمرار إقامة ورش نوعية لمناقشة القضايا العامة من قبل الجمعيات السياسية.

14- أن تقوم الجمعيات السياسية بتشكيل وفد لمقابلة وزير العدل لطرح مرئيات الجمعيات على الوزير.

15- التواصل مع النواب حول قانون الجمعيات السياسية وبعض مواد قوانين أخرى.

16- مخاطبة مجلس النواب بسن تشريع يلزم الحكومة باستمرارية دعمها المالي للجمعيات السياسية وفق معايير محددة يتفق عليها.

17- أهمية متابعة توصيات الورشة.

عبد النبي سلمان يسأل وزير المالية عن أوضاع هيئة التأمينات الاجتماعية ويلتقي وزير الكهرباء والماء

ضمن مجموعة من الأسئلة التي تعتزم كتلة تقدم البرلمانية التقدم بها للحكومة، تقدّم عضو الكتلة عبد النبي سلمان النائب الأول لرئيس مجلس النواب بسؤال لوزير المالية والاقتصاد الوطني حول جملة من الأوضاع المالية والإدارية لهيئة التأمينات الاجتماعية، في ظل ما أعلن منذ سنوات عن بدء مرحلة الإفلاس الاكتواري والمخاوف التي تراود الشارع في البحرين وبشكل خاص شرائح المتقاعدين من القطاعين الأهلي والرسمي، علاوة على الحلول التي وضعها مجلس ادارة الهيئة لإطالة عمر الصناديق التقاعدية وخطط مجلس الادارة للتغلب على عجوزات تلك الصناديق التقاعدية في ظل توجهات الدولة لاعتماد سياسة التقاعد الاختياري والتقاعد المبكر والمضي في مشاريع الخصخصة.

وعلى صعيد آخر وبدعوة من وائل المبارك وزير الكهرباء والماء، التقى النائب سلمان النائب الأول بالوزير الذي استعرض خطط وزارته بشأن خدمات الكهرباء والماء في البحرين، وتوجهات الوزارة خلال المرحلة القادمة للتغلب على العديد من المشاكل المرتبطة بالخدمات المقدّمة للمواطنين والمقيمين، خاصة ما يرتبط منها بطبيعة المراجعات المطلوبة حول تعرفة الكهرباء والماء وشرائح المستهلكين ومشكلة العدادات الإلكترونية، وقضية الفواتير المتضخمة التي اقلقت المواطنين في مساكنهم وشركاتهم وما ترتب عليها من رفض شعبي واسع، مما استدعى تشكيل لجنة تحقيق وزارية في جملة من القضايا المرتبطة بعمل ومهمات الوزارة المرتبطة مباشرة بالمصالح الحيوية للمواطنين والشارع التجاري في البحرين.

يوسف زينل ينتقد صمت «التربية» إزاء مشاكل ما بعد «التقاعد الاختياري»

وجه عضو كتلة «تقدّم» النائب يوسف زينل نقداً لاذعاً لوزارة التربية والتعليم، واتهمها بتضليل الرأي العام وذلك على خلفية تكرار ما أسماه «مشاكل ما بعد التقاعد الاختياري».

وقال زينل: تحدثنا كنواب عن بعض من ذلك، وكشفت الصحافة المحلية بعضاً آخر، الأحدث فيه ما جاء في صحيفة «الأيام، وتضمن تكذيباً لما تردده الوزارة من توظيف 900 معلم بحريني، حيث كشفت الصحيفة عن توظيف 570 معلماً بحرينياً فقط.

لم ينته الأمر هنا، حيث بينت الصحيفة أن الوزارة لم تنصت حتى لتوصية الشركة الاستشارية التي تعاقدت معها الوزارة من أجل إعادة الهيكلة ودفع من أجل ذلك 1.8 مليون دينار من ميزانية الدولة.

وأردف زينل: الغريب أن توصية الشركة وكما جاء في الصحيفة، في واد، والتطبيق من جهة الوزارة في واد آخر، حيث أوصت الأولى بتوظيف 1800 معلم، لكن الوزارة وظفت النصف فقط ضاربة بذلك توصية الشركة عرض الحائط.

وختم زينل تصريحه بالقول: على وزارة التربية والتعليم ومسؤوليها عدم التعويل على عامل الوقت لتمضي الأزمة التي يعيشها قطاع التعليم، فنحن نتحدث عن كرة ثلج، تكبر كلما تركت وتدحرجت وهو الأمر الذي ينطبق تماماً على واقع التعليم الذي ستفضحه المخرجات عاجلاً أم آجلاً، وهو أمر يحتم على مسؤولي الوزارة التعاطي الجاد مع الأزمة، عبر الاعتراف بها وتجاوز حالة المكابرة والإنصات للحلول والمقترحات القادمة من الطرف النيابي والأهلي.

زينل: محاربة الفساد بحاجة لقرار سياسي

«الحديث عن تقرير ديوان الرقابة الأخير، يجب أن لا يبرد، شعبياً ونيابياً» – هكذا صرّح عضو كتلة «تقدّم» النائب يوسف زينل، قائلاً: سواء اسمينا ما تكشف عنه هذه التقارير سنوياً بالملاحظات أو المخالفات فإن المحصلة واحدة وتتمحور حول هدر مستمر للمال العام.

وتابع: بعض هذا الهدر، هو لون من ألوان الفساد المالي والإداري، ومحاربته غير ممكنة دون قرار سياسي، منوهاً إلى ضرورة ترجمة توجيهات سمو ولي العهد التي أعقبت صدور التقرير السادس عشر، والتي شدد فيها سموه على أهمية تعزيز أدوات الرقابة الداخلية في الأجهزة الحكومية.

وواصل زينل حديثه: محاربة الفساد تعني أيضاً استرجاع المال العام المهدور، ومحاكمة الفاسدين، وإلا فإننا كمن يدور في حلقة مفرغة تنتج في كل مرة تقريراً، دون وضع حد للهدر الحاصل.

«تقدّم» تقترح انشاء مواقف متعددة الطوابق في جميع الوزارات الخدمية

تقدمت كتلة «تقدّم» البرلمانية باقتراح برغبة بشأن دعوة السلطة التنفيذية في المباشرة في إنشاء مواقف متعددة الطوابق في جميع الوزارات والجهات الخدمية تسهيلا على المراجعين من المواطنين والمقيمين، ويأتي هذا المقترح تجاوبًا مع مطالب شرائح متعددة بضرورة التسهيل على المراجعين خاصة في المستشفيات الرئيسة وادارات مثل المرور والهجرة والجوازات ووزارات مثل وزارات العمل والكهرباء والماء والأشغال وديوان الخدمة المدنية والجامعات والمعاهد التعليمية وغيرها، وقد حظي المقترح بموافقة وإجماع من قبل جميع كتل المجلس وتم رفعه للحكومة.

مطرقة البرلمان

تقارير ديوان الرقابة .. مهمة لا تحتمل التأجيل!

عبد النبي سلمان

ما هومتعارف عليه حتى الآن، أن تقارير ديوان الرقابة المالية والادارية، أضحت تقدّم سنويا مادة غنية بمدلولاتها وحقائقها المستفزة لتساؤلات ومشاعر الناس في البحرين، وبمختلف مستوياتهم الثقافية والسياسية، وهم يتابعون تلك الأرقام الصادمة التي لم تتوقف منذ الإصدار الأول للتقرير في العام 2002 حتى التقرير السادس عشر، الذي صدر منذ أقل من شهر من الآن ورفعت منه ثلاث نسخ، من بينها نسخة لجلالة ملك البلاد ونسخة للحكومة وثالثة لمجلس النواب.

بطبيعة الحال تلك التقارير السنوية تقدم كشفًا مختصراً عن طبيعة الاجراءات الادارية، علاوة على كيفية إدارة الموارد المالية والأموال العامة في العديد من الجهات الرسمية، علمًا أن التقرير السادس عشر الذي نحن بصدد الاشارة إليه هنا، قد غطى ما مجموعة 102 مهمة رقابية، وقدم 137 تقريرماليًا وإداريًا عن جهات رسمية كانت محل متابعة من قبل المختصين في الديوان الذين يبذلون جهوداً استثنائية ومهنية مشكورة منذ أكثر من سبعة عشر عامًا.

وعلى الرغم من ذلك تبقى أسئلة الناس مفتوحة على اتساع رقعة ظواهر وممارسات الفساد والتجاوزات المالية والادارية، باعتبارها ظواهر وممارسات لازالت تستنزف الكثير من موارد الدولة وامكاناتها التي لا تُوظف بشكل صحيح أو ايجابي، في وقت تمر فيه بلادنا بأزمة مالية طالما استدعت مساعدات دول الجوار لإخراجنا من تداعيات مالية خطيرة ومديونية عامة متضخمة تجاوزت بحسب الأرقام المعلنة والتي افصح التقرير ذاته أنها بلغت أكثر من 30 مليار دولار، دون ان تتمكن الجهات المعنية حتى الآن من اقناع الناس بكيفية تجاوز تلك الحالة التي اضحت، وبحسب التقرير ذاته تلتهم اكثر من 94٪ من الناتج المحلي الاجمالي للبحرين، فيما يستمر الخطاب الرسمي في الحديث عن المحاولات المستمرة حول حزمة من المشاريع الهادفة لإطفاء العجز في الموازنة فقط، ضمن ما اتفق على تسميته بمشروع التوازن المالي المنتظر تحقيق نتائجه مع نهاية العام 2022 الذي هو جوهر وغاية المساعدات المالية الخليجية التي بلغت عشرة مليارات دولار لبلوغ نقطة التوازن المالي المرجوه.

الغريب في الأمر أن برنامج التوازن المالي الذي حظي بدعم برلماني باعتباره الخيار الوحيد المتاح، في ظل تعذّر الخيارات الأخرى نظراً لأسباب ربما تكون سياسية أو أمنية أو مالية، لا تريد الحكومة أن تذهب إليها لاعتبارات تبدو غير مفهومة في العديد من وجوهها، وتستبدل بها خيارات مكلفة اجتماعيا ومعيشيا للشارع البحريني والتي من بينها المضي قدما في فرض ضريبة القيمة المضافة والتلويح بزيادتها بين فترة وأخرى، فيما يتدهور الوضع المعيشي اليومي للناس وتغلق العديد من الشركات والمؤسسات أبوابها، وتتراكم بذلك مديونية موازية لدى مؤسسات القطاع الخاص وتعمل المحاكم بأقصى طاقتها الاستيعابية للبت في قضايا الإفلاسات والمنازعات المالية نتيجة هذه الأوضاع، ونتيجة لاستمرار تداعيات الأزمات المالية محليًا واقليميًا ودوليًا وانعكاساتها على اقتصاد ريعي صغير لازال يعتمد منذ السبعينيات وحتى الآن على سلعة واحدة ووحيدة هي النفط الذي يمثل بحسب التقرير الذي نحن بصدده اكثر من 80٪ من ايرادات الدولة نتيجة لغياب، بل اهمال سياسة تنويع القاعدة الاقتصادية، التي شهدت نوعًا من التحول الإيجابي مطلع السبعينات والثمانينات، لكنها سرعان ما انتكست نتيجة عدم وجود التخطيط وغياب الرؤية الواضحة على مختلف المستويات.

هنا نتوقف متسائلين، في ظل هذه المصاعب المالية واقتصادية، ألا يجدر بنا كدولة ان نهتدي إلى سياسات مالية واقتصادية اكثر حصافة تحافظ بصورة أفضل على مواردنا المالية المهدرة والتي كشف التقرير بعضًا من جوانبها وأغفل بكل تأكيد جوانب أخرى مهمة منها؟! خاصة واننا نشهد انكفاءاً خليجيًا وعربيًا عن مسيرة التعاون التي ربما كانت حلما يومًا ما وأضحت أملا في ظل انشغالات دول الجوار بقضاياها ومصاعبها السياسية والاقتصادية وتفكيرها بشكل منفرد بعيدا عن سياسة التكامل التي كانت خياراً، وأضحت المنافسة المحتدمة بديلا لها بكل أسف، حيث بتنا نشهد ونتابع اضمحلال وانتهاء مشاريع عملاقة مشتركة لصالح مشاريع ذات صبغة أحادية تنافسية مرهقة لما لدينا من مشاريع وتوجهات اقتصادية.

بات من الملزم علينا كدولة وكسلطة تشريعية التفكير في كيفية استعادة كل تلك الأموال والموارد التي تحدث عنها التقرير لخزينة الدولة والحفاظ عليها من العبث والتطاول، لتبقى المهمة القادمة هي مهمة تحقيق الارادة الوطنية للحفاظ على ثرواتنا ومواردنا وتنميتها بعيدا عن العبث وسوء الادارة، حتى لا تبقى تقارير ديوان الرقابة حبر على ورق.. إنها مهمتنا جميعا.

مداخلات نواب «تقدّم» في المناقشة العامة حول وزارة التربية والتعليم

أوضح عضو كتلة «تقدّم» النائب فلاح هاشم استمرار عدم توظيف خريجي التربية رغم نجاحهم في الامتحانات وتوظيف الاجانب بدلاً عنهم يعتبر هدراً في المال العام. مشيراً إلى أنه لم يبق من مشروع مدارس المستقبل الا الاسم، فالصفوف مهجورة والاجهزة معطلة رغم مخاطبات المدارس المستمرة للوزارة بصيانتها.

جاء ذلك في مداخلته أثناء المناقشة العامة لمجلس النواب لملف وزارة التربية والتعليم، حيث أشار أيضاً إلى أن تغيير المدرسين حسب زيارات هيئة ضمان الجودة والمداورة بينهم لرفع تقييم المدرسة ماهو الا خدعة ويجب عدم السكوت عنه، كما أشار إلى أن هناك تمييزاً في نظام توزيع البعثات وهو ما يخالف المعاهدات الدولية الخاصة بمناهضة التمييز في التعليم التي صادقت عليها البحرين.

وقال هاشم: «أصدرت وزارة التربية والتعليم تعميمًا لعقد الامتحانات التحضيرية لامتحانات منتصف الفصل الدراسي بتاريخ 5 – 7 نوفمبر 2019، في حين أن امتحانات منتصف الفصل الدراسي ستعقد بتاريخ 3 نوفمبر 2019، فكيف يعقل ذلك؟ فلنتصور الإرباك الذي سيحصل من وراء هذا التنظيم على العملية التعليمية وعلى الإدارات والمعلمين والطلاب وأولياء أمورهم.

أما بالنسبة لمدارس المستقبل، فعلينا أن نسأل كم نسبة السبورات الالكترونية المستخدمة والصالحة للاستخدام، والبرامج الذكية الداعمة لها؟

هناك شكاوى من الإدارات المدرسية بأن مجموعة كبيرة منها غير صالح للاستخدام. – موضوع معادلة الشهادات وتطبيق قرارات على أشخاص تخرجوا من جامعات معتمدة من قبل وزاراة التربية والتعليم بأثر رجعي.. والوزارة تنفي ذلك، وأنا شخصيا سلمت رئيس اللجنة المختصة لمعادلة الشهادات حالة أحد المواطنين، تخرج من جامعة معتمدة من قبل وزارة التربية، وطبق عليه قرار بأثر رجعي، ولا زال موضوعه معلقا حتى الآن ولا يدري ماذا يفعل.

وأكدّ هاشم عدم وجود شفافية ومعايير واضحة في توزيع البعثات المقدمة من وزارة التربية والتعليم، وأن ما يحصل من طريقة لتوزيع البعثات يدفن احلام المتفوقين، وطالب بضرورة نشر نتائج البعثات في الصحف المحلية وبيان نوعية الامتحانات المقدمة للمبتعثين من اجل ان يكون الجميع على بينة ومعرفة للسياسات المتبعة من قبل الوزارة.

من جانبه أكدّ عضو "تقدّم" النائب الأول لرئيس مجلس النواب عبدالنبي سلمان أن النسبة الأكبر من الكوادر التعليمية في جامعة البحرين هي من الأجانب على حساب البحرينيين، مقابل وجود العديد من خرّيجي المؤهلات العليا وبدرجة علمية كبيرة.

توصيات «تقدّم» حول السياسية التعليمية

التوصية الأولى: إعادة النظر بشكل سريع في توزيع البعثات بما يكفل تحقيق الشفافية والعدالة لجميع المتفوقين.

التوصية الثانية: إحلال الخريجين والخريجات البحرينيين في وظائف التدريس في مدارس وزارة التربية والتعليم، وجعل الاستفادة من العرب والأجانب استثناء.

التوصية الثالثة: إيجاد حلول عاجلة لخريجي الطب من الجامعات الصينية بما يحقق العدالة لهم جميعا وتأهيل من يحتاج منهم للتأهيل بحسب توصيات سمو رئيس الوزراء.

التوصية الرابعة: إنصاف الكفاءات الوطنية في التعيينات في جامعة البحرين ومختلف الجامعات الأهلية وعدم السماح بتهميش الكوادر والكفاءات البحرينية.

التوصية الخامسة: احترام المعلم البحريني وإعطاءه ما يستحق من رعاية وأولوية، فهو عماد العملية التعليمية التعلمية.

التوصية الساسة: إعادة الاهتمام بجودة التعليم على مستوى المدارس والجامعات والاستفادة من ملاحظات الهيئة العامة لجودة التعليم، والاهتمام بسمعة التعليم في البحرين.

كتلة تقدم النيابية، وشاركهم كل من:
سعادة النائب كلثم الحايكي
سعادة النائب ممدوح الصالح
الأربعاء ٦ أكتوبر ٢٠١٩

فلاح هاشم يسأل عن الوضع العام للعمل التعاوني في البحرين

تقدّم عضو «تقدّم» النائب السيد فلاح هاشم بسؤال إلى وزير العمل والتنمية الاجتماعية جميل حميدان، هذا نصه: ما هو الوضع العام للعمل التعاوني في مملكة البحرين؟ وكم عدد الجمعيات التعاونية فيها؟ وكم عدد الجمعيات النشطة منها وغير النشطة؟ «مع تحديد كل منهم على حدة»، وماهو عدد أعضاء هذه الجمعيات، وما البرامج والمشاريع والمساعدات المقدمة من قبل الوزارة لها؟ «مع توضيح المساهمات المقدمة لكل جمعية على حدة»، وما مقدار مساهمة هذه الجمعيات التعاونية في النشاط الاقتصادي؟ «مع ذكر أنشطة وجهود كل جمعية على حدة»؟

..وينتقد تردي الخدمات في مستشفى «السلمانية»

قال عضو كتلة «تقدّم» النائب السيد فلاح هاشم» إن موضوع العزل في السلمانية بحاجة إلى مساءلة الوزيرة، فهو شيء غير معقول وغير مسؤول من قبل الوزارة». وأضاف «تردي خدمات السلمانية وزيادة الشكاوى بشأنها أدت إلى فقدان ثقة المواطن بالطب العام وجعلته عرضة لبعض المتمصلحين في الطب الخاص (..) مساءلة الوزيرة ومحاسبة الصحة واجب لا بد منه».

الدورات التدريبية تنتهي بشهادت لا بوظيفة

قال عضو «تقدّم» النائب سيد فلاح هاشم معلقًا على ردود الحكومة حول خطط إحلال البحريني مكان الأجنبي «إن الحكومة سردت تدريبات وجهود تمكين والميزانيات، ولكن نتمنى أن تكون هذه الدورات لها دور في الإحلال، فالبعض يتدرب وحصل فقط على شهادة من وزارة العمل، ولا يعترف بها في أي مكان، والبعض مازال عاطلاً عن العمل منذ 2008».

«تقدّم» تطالب المجتمع الدولي بحماية ابناء الشعب الفلسطيني

أكدت كتلة «تقدّم» في بيان لها ادانتها وشجبها للعدوان الهمجي الصهيوني الغاشم ضد ابناء شعبنا الفلسطيني، الذي يتعرض لهجمة عنصرية من قبل آلة العدوان الصهيوني وحكومته المتطرفة بقيادة الإرهابي «نتنياهو" على قطاع غزة المحاصر، حيث سقط العديد من الأبرياء العزل من الاطفال والنساء والشباب، في استخفاف صهيوني واضح، كما اسمته الكتلة، بقرارات الأمم المتحدة . كما طالبت الكتلة جامعة الدول العربية بوقف كافة مظاهر وخطوات التطبيع مع دولة العدوان الصهيوني، باعتبارها خطوات مرفوضة شعبيا، ويجب ان ترفض رسميا من جميع الدول المنضوية تحت سقف جامعة الدول العربية .

تساؤلات حول اتفاقية الاستكشاف والمشاركة في الانتاج

تساءل النائب السيد فلاح هاشم حول بعض النقاط بخصوص تقرير لجنة الشؤون المالية والاقتصادية بشأن المرسوم بقانون رقم (9) لسنة 2019م بالموافقة على اتفاقية الاستكشاف والمشاركة في الإنتاج بين حكومة مملكة البحرين ممثلة في الهيئة الوطنية للنفط والغاز وشركة إيني البحرين بي.في المدرج على جدول الجلسة العادية السابعة في بند المراسيم بقوانين .

وقال هاشم: «نتطلع أن تعزز الاتفاقية عملية إنتاج النفط، وثمة تشاؤلات تحتاج إلى إيضاح تتعلق بمدى التطبيق الفعال لأولوية البحرينين في التوظيف، والداعي لإعفاء الشركة من ضريبة القيمة المضافة».

المطار يتعاقد مع موظفين دون الرجوع للموارد البشرية

أظهر تقرير الرقابة المالية والإدارية قيام شركة مطار البحرين بالتعاقد مع العديد من الشركات الاستشارية؛ بهدف توفير موظفين فنيين وإداريين وفقا لاحتياجاتها. وقد بلغت قيمة مصروفات الشركة على تلك العقود خلال الفترة من عام 2015 حتى أغسطس 2018 مبلغ 2.77 مليون دينار.

ولاحظ التقرير قيام الإدارات بالاستعانة بالشركات الاستشارية وتحديد احتياجاتها من موظفي العقود، وتوليها مسئولية التأكد من مؤهلاتهم العلمية، وخبراتهم العملية، والإشراف على شئونهم مثل الحضور والانصراف والإجازات والرواتب وغيرها، دون وجود دور في ذلك لإدارة الموارد البشرية بصفتها الجهة المسئولة عن شئون الموظفين، الأمر الذي يؤدي إلى عدم تحقق إدارة الموارد البشرية من مدى سلامة وتناسب مؤهلات الموظفين وخبراتهم العملية للمهام المكلفين بها، وعدم تمكنها من الوقوف على مدى ملاءمة أعداد ووظائف موظفي العقود للهياكل التنظيمية بالشركة، ما قد يؤدي الى تحميل الشركة مصروفاتها ما يزيد عن حاجتها من هولاء الموظفين

الأيام: ٢٤ أكتوبر ٢٠١٩

35 ألف عامل أجنبي انتقل إلى عمل آخر

قالت هيئة تنظيم سوق العمل، إنها تسلّمت خلال العام الجاري 2019 ما مقداره (87.948) ألف طلب جديد لعمالة من خارج البلاد، وذلك من أصل (212.682) ألف طلب جديد تسلّمتها منذ بداية السنة.

وفي إحصاءات زوّدت بها الهيئة لجنة الخدمات بمجلس الشورى، كشفت الهيئة بأن إجمالي طلبات العمالة الأجنبية التي بحثتها خلال العام الجاري بلغ (515.730) ألف طلب، 59٪ منها عبارة عن طلبات «تجديد ترخيص لعمالة أجنبية قائمة في البلد»، حيث بلغت طلبات التجديد حوالي (303.048) ألف طلب، في حين بلغت نسبة الطلبات الجديدة 41٪.

وعن الطلبات الجديدة، أوضحت الهيئة أن (34.947) ألف طلب عبارة عن تصاريح انتقال للعامل من مؤسسة تجارية لأخرى داخل البحرين، و(89.751) تصريح عمل لأجنبي من داخل البحرين، بالإضافة إلى (87.984) ألف طلب لعامل من خارج البحرين.

وقالت الهيئة بأن عدد تصاريح العمالة المنزلية بلغت (38.278) تصريح عمل جديد، و(23.909) تصريح تجديد لخدم منازل في المملكة، بما مجموعه (62.187) ألف تصريح.

وجاءت الأرقام التي زوّدت بها هيئة تنظيم سوق العمل لمجلس الشورى في سياق مرئياتها حول مشروع بقانون نيابي يشترط على العامل الأجنبي إحضار شهادة حسن سيرة وسلوك للعمل في البحرين. وقالت الهيئة في مذكرتها بأن العديد من الدول التي تُستقدم منها العمالة لا توجد لمملكة البحرين سفارات فيها، كبنغلاديش والفلبّين، وقالت «لدى المملكة 22 سفارة فقط من أصل 194 دولة، وإن إنهاء إجراءات استقدام العمالة يتطلب مراجعة سفارة مملكة البحرين، والتي يتواجد مقرّها غالبًا في عواصم الدولة، كالهند، حيث تقع سفارة مملكة البحرين في مدينة نيودلهي التي تبعد مسافة ثلاث ساعات بالقطار عن مدينة كيرلا التي يتم استقدام أغلب العمالة الهندية منها، ممّا يؤدّي إلى صعوبة استخراج وتصديق شهادة حسن سيرة وسلوك، إضافة إلى ذلك فإن العديد من الدول لا تمنح هذه الشهادة أصلًا».

وأكّدت الهيئة في مرئياتها للشوريين أنّه من الأفضل ترك مثل هذه الأمور التنظيمية لقرارات تصدر من الوزير المعني وذلك لسهولة التعديل عليها لاحقًا في حال تطلّب الأمر ذلك، واستشهدت بتجربة الإمارات العربية المتحدة والتي قامت بإصدار بعض القرارات التنظيمية بشأن العمالة منها قرار في هذا الشأن، وتم إيقافه بعد مرور ما يقارب شهرين من تطبيقه وذلك لصعوبة تنفيذه عمليًا.

"الأيام": ٢٤ نوفمبر ٢٠١٩

مجلس إدارة التأمينات الاجتماعية لم ينعقد منذ عام

البلاد: علوي الموسوي:

كشف مصدر عليم لـ «البلاد» أن مجلس إدارة الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي لم ينعقد منذ عام، مشيرا إلى أن آخر اجتماع عقد كان بشهر نوفمبر من العام 2018.

وأضاف: منذ التغيير الوزاري الذي جرى في نوفمبر من العام الماضي، والذي أزاح وزير المالية السابق عن منصبه الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة لم يدعُ مجلس الإدارة لأي اجتماع.

وأماط اللثام عن العملية التي من خلالها تم أخذ الموافقات على إصدار قرار تحويل مبلغ 230 مليون دينار من صندوق التعطل إلى صندوق القطاع العام في الهيئة، كاشفا أن الأعضاء لم يوافقوا على القرار بأجمعهم، وأن القرار أخذ من الأعضاء بواسطة البريد الإلكتروني.

ولفت إلى أن أعضاء مجلس الإدارة لا يملكون أي معلومة بخصوص انعقاد الاجتماعات، موضحا أنه تمت طرح فكرة أخذ موافقات أعضاء المجلس على الموضوعات المختلفة عبر آلية (التمرير)، لكن هذه الفكرة ووجهت برفض من قبل عدد من أعضاء المجلس.

وقال: إن فكرة التمرير هي أن يتم إخطار أعضاء المجلس وأخذ موافقاتهم عن الموضوعات المختلفة عبر البريد الإلكتروني، من دون وجود مناقشات.

وتابع: أن العديد من الموضوعات المهمة مطروحة على طاولة المجلس، وهي شديدة الأهمية والحساسية، ومن ضمنها العجز الاكتواري ومناقشة استثمارات الهيئة وعملية التقاعد الاختياري والتفاصيل المحيطة حول هذا الموضوع.

٢ نوفمبر ٢٠١٩

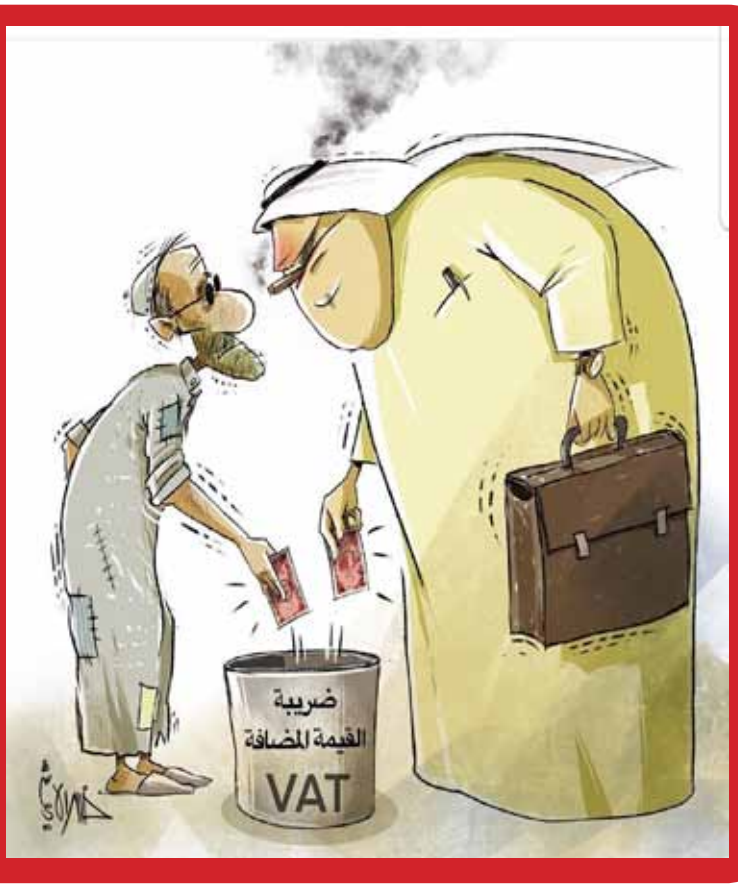

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

هيئة المعلومات: الأجانب أكثر من البحرينيين بنحو 124 ألفًا

كشفت إحصائية رسمية صادرة عن هيئة المعلومات والحكومة الإلكترونية عن أن إجمالي عدد سكان مملكة البحرين حتى عام 2018 يقدر بنحو 1،503،091 نسمة، حيث شكّل عدد البحرينيين 689 ألفًا و417 بحرينيًا مقابل 813 ألفًا و377 أجنبيًّا مقيمًا في مملكة البحرين.

وتكشف البيانات بأن عدد السكان الأجانب أكثر من عدد البحرينيين أي بفارق بلغ 123ألفًا و960 أجنبيًّا، فيما كان عددهم نحو 759،019 أجنبيًّا خلال عام 2017، وزاد بنحو 54 ألفًا و358 أجنبيًّا خلال عام 2018.

وبحسب الأرقام الرسمية، فقد بلغ عدد العاملين البحرينيين حسب آخر إحصائية لعام 2018 لدى منصة البحرين للبيانات المفتوحة 17 ألفًا و861 عاملاً، وعدد العاملين غير البحرينيين 17 ألفًا و241 عاملاً أجنبيًّا.

وبينت الإحصائية حسب تقدير كثافة السكان بين المحافظات أن أكثرية السكان هم في محافظة العاصمة ويبلغ عددهم 561 ألفًا و880 نسمة، وفي المرتبة الثانية تأتي الكثافة لعدد سكان محافظة الشمالية والتي يبلغ إجمالي ساكنيها نحو 363 ألفًا و159 فردً.

أما المحافظة الجنوبية فقد كان تقدير ساكنيها نحو 309 آلاف و426 شخصًا، فيما بلغ تقدير عدد السكان الأقل حسب المحافظات في محافظة المحرق إلى 268 ألفًا و626 فردًا من قاطنيها.

البلاد: الخميس ١٤ نوفمبر ٢٠١٩

124،000

هذا الركود السياسي

المعطيات الماثلة اليوم على الساحة السياسية المحلية توضح أن الجهة الرسمية ممثلة في الحكومة تتمتع بكامل لياقتها السياسية سواء على الصعيد الاستراتيجي البعيد أو التكتيكي المتجاوب مع المتغيرات. ترفدها في ذلك خبرة سياسية متراكمة وعقول استشارية محنكة متمكنة، أُحسن انتقاؤها. كافة المؤسسات الرسمية تمضي بكل وضوح وثقة في انجاز مهامها وفق الخطط المقرَّة، وبمرونة لافتة تلبية لأي طارئ أو متغير. الحراك السياسي الرسمي محلياً وخارجياً في أفضل إيقاع، السلطة التشريعية بغرفتيها تنعقد وتنفض في زمنها المحدد فصلاً بعد فصل ودوراً بعد دور. الفعاليات المحلية المكملة تتتالى من زيارات ولقاءات ومؤتمرات وورش عمل ومعارض وغيرها. يجري ذلك في ظل وضع محلي يتوفر على هدوء أمني لافت يعم البلاد، يوازيه نجاح بائن في التعامل مع الملفات والنجاح في تمرير المقر منها سيّان بضجة أم بهدوء.

فوزية مطر

على الضفة المقابلة يتراجع دور وتأثير منظمات المجتمع المدني الأهلية في عمومها بدءاً من الجمعيات السياسية بمختلف مشاربها، فالمنظمات التطوعية على أنواعها، وصولا للمنظمات المهنية. وحيث أننا نتحدث عن الحراك السياسي فنحن معنيون هنا بالحديث عن حال الجمعيات السياسية وهي تقف على أبواب انتهاء العقد الثاني من تأسيسها. خلال ذلك وكما يقال تحركت مياه تحت الجسر نقلتنا من أحوال لأحوال. فعلتْ فعلها في كل ما جرى العوامل الموضوعية والذاتية المحيطة بالعمل السياسي المجتمعي، لنصل اليوم إلى: إما جمعيات سياسية حُلَّت وأوقفت عن العمل أو جمعيات حلَّت نفسها ذاتياً أو جمعيات انفضّ جمهورها من حولها ويكاد يتوقف عطاؤها.

إضافة لذلك لا تجد الجمعيات السياسية كلها – بنسب متفاوتة – من بين أعضائها العنصر الشاب المؤهل ليمسك زمام قيادتها، ويظل حملها يقع على القيادات القديمة التي يتواتر تقدمها بالعمر. السكون، الركود يكاد يعم إلا من حركة هنا أو مشاركة هناك، مما لا يعكس الطبيعة الحيوية للمجتمع وللشارع البحريني. لم يتبق في ظننا سوى جمعية أو اثنتين تظهران حراكاً ملموساً، تتفاعلان مع المجريات، تطرحان رأياً، تعلنان موقفاً. ويبقى عموم الحراك السياسي متعثراً مقيداً ومحاصراً تحت ضغط الممنوعات التي تسندها نصوص قانونية شتى.

نطرح السؤال، هل أوصدت جميع الأبواب في وجه أي مستوى من الحراك السياسي. نسارع للإجابة المباشرة: لم يزل هناك منبرٌ يمكن أن يُطرح به الرأي، بل ويعلو فيه الصوت والسقف، هو منبر المجلس المنتخب. علينا هنا ألاّ نتذرع بمقولة أن المجلس النيابي المنتخب مقيد بنصوص قانونية ولوائح تحد من صلاحياته، تقيده وتحوله لظاهرة صوتية لا أكثر. قد تصح المقولة المذكورة على الشق التشريعي من عمل المجلس المنتخب، لكنها غير نافذة في مصادرة دور المجلس الرقابي المتنوع على أداء الحكومة، كما أنها لا تعني انفضاض الرقابة الشعبية من حول المجلس. يرفض صديقٌ ممن لا يعوِّلون كثيراً على منجزات للسلطة التشريعية في واقعها الراهن، يرفض الاستسلام متسائلاً: «هل نلتحف إذن تحت البرنص»، بمعنى هل نضع رجلاً على رجل ونستسلم يائسين مكتفين بالانتقاد وتوجيه التهم. إن كان ذلك ما يفترض أن يكون عليه دور الناخب الفرد فما بالك بالدور الجماعي للجمعيات السياسية.

أمام الجمعيات السياسية منبر النيابي ذي التشكيلة الغالبة من النواب الشباب المستقلين الذين وجدوا أنفسهم أمام وضع معيشي صعب يكابده المواطن. فرض الوضع الاقتصادي الضاغط أعباء أثقلت كاهِل المواطن وربما في الطريق أعباء أخرى قادمة. جاء النواب محملين بهموم المواطن، فوضعوا ملفات القضايا المعيشية على الطاولة، فتحوها وراحوا ينبشون منتظرين الدعم المجتمعي. كما أنهم وصلوا يسبقهم تحد آخر هو أداء المجلس خلال الفصل التشريعي الرابع الذي لم ينل سوى امتعاض الناخب وخيبته وعدم رضاه، أداء نجحت السلطة التنفيذية على مدى الفصل المذكور في تحييده كي لا يبلغ إلا ما يتواءم مع التوجهات الرسمية. أمام التشكيلة الحالية مهمة رسم صورة مغايرة من خلال أداء منحاز للناس ولأحوالهم المعيشية، وإلا نالت السخط الذي ناله سابقوها. النواب الجدد الشباب المستقلون بحاجة للدعم المجتمعي الذي يشكل رافعة وحائط صدّ أمام أي تراجع، وهو ضامن لثباتهم على مواقفهم المنحازة لمصالح الناخبين. أما إن لم يجدوا سوى الهجوم ولم يشعروا سوى بعدم الثقة فسيحبطون ويضعفون.

المتابع المنصف سيجد النيابي مختلفاً هذه المرة والمستقلون يحاولون تعديل الأداء المخيب الذي أبدته التشكيلة السابقة. اليوم يعود الفضل للنواب في تحريك المياه الراكدة حول عدد من الملفات المعيشية الضاغطة التي يصطلي المواطن في نيرانها. وقد ترك ذلك الأداء الذي يكبره كل منصف صداه على الصعيد المجتمعي سواء على وسائل التواصل الاجتماعي، الملتقيات، المجالس والأحاديث المتداولة بين الناس. وليس لنا أن ننكر ثمار ذلك في إحداث زحزحة في الموقف الرسمي وإبدائه مستويات من التجاوب في التعامل الإيجابي مع ملفات معيشية هامة كالضرائب والرسوم، الإسكان، البحرنة، الخريجين العاطلين، الصيادين، فواتير الكهرباء، توفير الأدوية الخ.

وفوق ذلك يلمس المتابع إصراراً من قبل التشكيلة الحالية على أن يكون المجلس سيد نفسه فيما يتعلق بصلاحياته الرقابية برفض أي توجهات لقضم جوانب من تلك الصلاحيات. تمثل ذلك في قرار اتخذه المجلس مؤخراً بأغلبية لافتة برفض الاحتكام مقابل الحكومة لهيئة التشريع والرأي القانوني حول تحديد مدة عمل لجان التحقيق بفترة أربعة أشهر لا أكثر، خاصة في ظل ما طرحه النواب حول تأخر جهات حكومية عن امداد لجان التحقيق بالمعلومات والبيانات التي تطلبها.

في واقع تراجع حراك الجمعيات السياسية على الصعيد المجتمعي مقارنة بفترات سابقة، وبتفهم كافة الأسباب الموضوعية والذاتية التي أدت لذلك، فإن العمل التنسيقي المشترك بين هذه الجمعيات قد حان وقته بل هو يفرض نفسه في حال رغبت هذه الجمعيات أن تعود رقماً حاضراً ومؤثراً على ساحة العمل السياسي، وذلك كفيل بتجاوز النواقص وبعودة هذه الجمعيات إلى الساحة. الجمعيات السياسية على مشاربها وهي تشعر بالركود والانحسار السياسي منوطة بأن تجدول أولويات عملها المشترك التي نزعم أن أولها هو رفد عمل المجلس المنتخب في التعامل مع ملفات الأوضاع المعيشية، فتلك الأوضاع جامعة يلتقي عندها كل الأطراف وهي عابرة لكافة الاختلافات والخلافات.

أما الكيفية والأسلوب فالجمعيات السياسية لا تعدم الفعاليات الملائمة لذلك، بيدها ما يناسبها من خيارات وهي أدرى بهوامش تحركها.

بصراحة

الفساد وسرقة المال العام في البلدان العربية

القمع والاستبداد الظاهرة السائدة في البلدان العربية بالنظر لطبيعة تكوين الأنظمة السياسية فيها منذ مرحلة ما قبل الاستعمار وما بعده، حين نالت الدول العربية استقلالها. لم تستقِم الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان فيها ولا توجد نماذج تُذكر في العقود الماضية، حيث كانت الصراعات والانقلابات عناوين تلك المرحلة. وربما يقول قائل إن تركة الاستعمار ووجود الكيان الصهيوني، وكذلك قيام الحروب سواء مع الكيان الصهيوني أو الاقتتال الداخلي كالحرب الأهلية اللبنانية، والخلاف بين جناحي حزب البعث في سوريا والعراق، الانقلاب على التوجهات الناصرية بعد موت الزعيم جمال عبدالناصر في سبتمبر من عام ١٩٧٠ من قبل السادات وعقد السلام مع الكيان الصهيوني في عام ١٩٧٩، كانت كلها عوامل في عدم تحقيق التنمية وبناء مجتمعات ديمقراطية.

فاضل الحليبي

لم يكن هناك تحولات ديمقراطية حقيقية في البلدان العربية حتى من قبل الانظمة التس صنفت كجمهوربة ثورية، وإنْ كانت غالبيتها قادمة من خلال انقلابات عسكرية، ترفع الشعارات الكبيرة الفارغة من المضامين لتغيير جذري في الوعي المجتمعي نحو بناء المنظومة الشاملة لأسس الدولة الحديثة المدنية القائمة على التعدد والتنوع في المجتمع لتقويم الأفكار والسياسات الاقتصادية والتنموية من خلال خطط وبرامج تنفذ على مدار السنوات، وتؤسس للتحولات الديمقراطية وتطلق العنان لقيام المجالس النيابية المنتخبة، وحرية الأحزاب السياسية والنقابات ومنظمات المجتمع المدني المستقلة غير التابعة للحزب الحاكم وتسلط أجهزته الاستخباراتية، ولكن الذي كان يحدث هو عسكرة المجتمع في أكثر من بلد عربي، وزادت الميول المحافظة والرجعية بدلاً من علمنة المجتمع، لتبرز فيما بعد نتائجه المدمرة في صور التطرف والغلو الديني في أكثر من بلد عربي، ظهرت تجلياتها في أحداث ما عُرف بالربيع العربي عام 2011 ولازالت تداعياتها مستمرة .

ما يجري اليوم في العراق ولبنان ضد الفساد والفاسدين وسارقي المال والمحاصصة الطائفية، من قمع وقتل للمتظاهرين ضد السلطات السياسية الفاسدة حيث كدّس العديد من القادة السياسيين الملايين والمليارات من الدولارات من أموال الشعب، وأصبح البعض منهم بين ليلة وضحاها من الأثرياء في الوقت الذي كان يجب أن تصرف تلك الأموال في انجاز البنى التحتية والفوقية، وتصرف في المشاريع التي تنتشل الناس من الفقر والحرمان وتوفر العمل والدراسة والصحة والسكن وكل متطلبات الحياة الكريمة للمواطن، فعندما ينتشر الفساد في جسد الدولة تأكد بأن الرؤوس فاسدة، فالعموم من الناس يدخلون في «سيستم» الفساد لأن الرأس فاسد فلا غرابة بأن يعم الفساد في كل أجهزة الدولة.

ولكن عندما يسود القانون على الجميع ويتم الالتزام به، وتكون للسلطة القضائية القوية الهيبة المشرفة في أوساط الناس والمجتمع، تتصدى للفساد والفاسدين، عبر قضاة مشهو لهم بالإستقامة والنزاهة، وتكون هناك السلطة التشريعية القوية التي لديها الصلاحيات التشريعية الواسعة وفقاً لدستور الدولة، وتصبح السلطة التنفيذية مراقبة ومحاسبة على أدائها من قبل السلطة التشريعية ولا تخشاها، وتكون السلطة الرابعة، الإعلام بكل تنوعاته، مرآة عاكسة لقضايا ومشاكل الناس، يفضح ويعري من يسرق المال العام ويلاحق المرتشين والفاسدين ويعمل على أن يُقدموا إلى المحاكمات العادلة، ويسود مناخ من الفصل الحقيقي بين السلطات ساعتها سوف يقضى على الفساد أو على أقل تقدير يقلل من انتشاره وتنتعش معدلات التنمية في البلاد ينمو الاقتصاد ويرتفع مؤشره نحو الأفضل.

في بلادنا البحرين يصدر كل عام ديوان الرقابة المالية والإدارية تقريراً مهنياً واحترافياً، حتى بلغنا هذا العام نسخته السادسة عشر ويتضمن العديد من المخالفات في مختلف الوزارات والدوائر الحكومية وبعضها يتكرر كل عام، لكن دون محاسبة ومساءلة المتورطين في تلك المخالفات، ولم نسمع أو نقرأ بأن مسؤولاً ما تمّ تقديمه للنيابة ليكون عبرة للآخرين، ولكي يقلل الفساد المالي والإداري في تلك الوزارات والمؤسسات الحكومية، لذا أصبح الناس لا يكترثون بتقرير ديوان الرقابة المالية والإدارية ولا يهتمون به صدر أو لم يصدر، لأنهم يروا بأم أعينهم أنه لا يغير من الواقع شيئاً.

الفاسدون والمرتشون في مواقعهم وكأنّ لسان حالهم يقول: قولوا ما تشاؤون ونحن نفعل مانريد. لا توجد جدية من قبل الحكومة ولا إرادة قوية يتوحد عليها مجموعة من النواب الأحرار في قراراتهم لفعل شيء حقيقي داخل مجلس النواب يختلف عن الدورات السابقة، ونأمل بأن يتم التوافق مع أعضاء كتلة «تقدّم» على توحيد الموقف تجاه التقرير الأخير، بما يحد من الفساد، ويقلل من مؤشراته، ويرفع من مكانة البحرين في هذا المجال.

في لبنان والعراق: صوت الثورة يصدح

أبصر يوم الخامس والعشرين من اكتوبر في العراق والسابع عشر من نوفمبر في لبنان النور على وقع هدير شباب منذور للثورة والتغيير ليربك معادلات السياسيين في كلا البلدين وليقلب الطاولة على حساباتهم ويقضّ مضاجعهم بمطالبه العادلة.

تغيّر شئ ما جوهري في تفكير هؤلاء الشباب ليرتفع صوتهم عاليا ضد الطوائف وممارسات السياسيين ومحاصصاتهم الطائفية، وأخذت ساعة التاريخ تعلن ميلاد فجر جديد لتفكير جديد يهزأ بتلك النخب الفاسدة في كلا البلدين.

حميد الملا

ندخل في عصر التوصيف لهذه الحالة الجديدة لنجد بأن لبنان لايشبه لبنان والعراق لا يشبه العراق، للساحات والمنازل ألوان وأعلام وخيم وللشوارع المكتظة بضجيج الصبايا والشباب الحالمين بالتغيير، إنها لحالة فريدة كما لم تكن من قبل وكما لن تكون من بعد أبداً.

بين العراق ولبنان مسافات قليلة قد تضيق وقد تتسع وتكبر بين ثورتين لشباب متحمس يثور وبوهج يغدو لأحلامه متسعاً كسعة الأرض والسماء، بين آمال وآلام تصدح مع ضجيج الحياة إيقونة لغدٍ أفضل، يصنعون مستقبلهم، يضيفون نكهة لحياة قادمة دونما قيودٍ طائفية أو عنصرية أو دينية، انهم الشباب اللبناني والعراقي، الذي لم يكن المستقبل يخيفهم بل على العكس كان يقدم يقينا داخل حاضر مصنوع من لايقين كما يقول الروائي التشيكي ميلان كونديرا.

لابد للشباب ان ينهض لينتزع حقوقه من أيدي الفاسدين المتشبثين بالسلطة باسم الدين في العراق وباسم الطوائف في لبنان فهل آن الأوان لتحقيق ذلك؟. بظننا أن هذه الدماء التى سالت وانهمرت كالأنهار في العراق ستغدو معبرا للحرية إن طال الزمن أو قصر. وكما يقول كونديرا ايضا فى روايته (الحياة في مكان آخر): «عندما تقتل الأحلام الكبيرة، تسيل دماء غزيرة».

لكن الشعوب لا تخاف الدم عندما تثور لأنها تعرف بأن للحرية ثمن بل ثمن باهظ احيانا في ظل حكومات وأحزاب دينية فاسدة أقرب الى الفكر الفاشي لا تتوانى أبداً في سفك الدماء وقتل الأبرياء باسم الدين والطائفة، والوطن بالنسبة لهم عزبة كبيرة يسرقون منها ما يشاؤون دون حسيب أو رقيب.

شعوب تحلم بالحرية والعيش الكريم كغيرها من الشعوب ولكن هيهات من حكومات فاسدة ان تدع لهذه الشعوب ان تهنأ بالخيرات التى وجدت لتسرق من أفواه الفقراء والكادحين. فالحلم المتيقظ لدى الشعوب بعد أن عانت ما عانت من هذه الحكومات استيقظ على أنغام موسيقى الأمل بغد أفضل وبلحن الخلود لوطن يسود فيه العدل والمواطنة المتساوية وحقوق الانسان والتداول السلمي للسلطة وبالدولة المدنية العلمانية، فالأصوات النشاز لجوقة الطائفية يجب ان تنتهي والى الأبد وهذا ما وحدّ الشعبين العراقي واللبناني على هذا الشعار الذهبي ليسددوا سهام مظاهراتهم على تك الحكومات المشبعة بفيروس الطائفية والمحاصصة التي اكل الدهر عليها وشرب.

إن للثوار في البلدين مطلب واحدة رحيل الطغمة الفاسدة وبناء بلديهما من جديد بروح جديدة بعيدة عن تلك الاحزاب التى أكلت الأخضر واليابس وتربعت على كرسي السلطة بكتم انفاس شعوبها وذبح آمالهم وأحلامهم بوطن حر وشعب سعيد.

فقد دقّ جرس التغيير فلن يطيل بتلك السلطات المقام، فاللعبة انتهت وآن الأوان لسماع صوت الحشود المنتفضة على أبواب القصور المسيجة بدماء الكادحين والفقراء والمحرومين، فأية أنظمة هذه، وأية وحشية تلك التى تقتل شعبها بدم بارد وبشعور من الزهو وبالغطرسة المتأصلة في بناء وبنية تلك الاحزاب المسيطرة على السلطة بالحديد والنار.

وحدها الشعوب التواقة للحرية قادرة على إسقاط تلك الطغم الفاسدة بوحدتها الوطنية وبالسلمية التى ستحطم بها القيود وهذا سر من اسرار استمرارية الحراك وقدرته على إيصال صوته وبقوة عبر ابداعات فنية ورقصات شعبية وأغان ثورية تلهب حماس المحتشدين، فليس لإبداعات الشعوب من منتهى وحدود.

ليس للفن والشعر قط دور أكبر من الدور الذي يلعبه في الانتفاضات الثورية وهذا ما فهمته وتيقنت منه تلك الجماهير اللبنانية والعراقية فأخذ المبدعون رغم الجراح يبدعون لثورتيهما سمات تليق بالذوق الراقي والحس المرهف، فحوّلوا الساحات مسارح تفيض وتعج بالمواطنين التواقين للتغيير وعلى أنغام الموسيقى يصيغون احلامهم

يتبع

وآمالهم فى غد أفضل لهم وللأجيال القادمة، بالدبكة اللبنانية والأهازيج العراقية يحيلون الماضي الى مستقبل زاهٍ مزهر والظلام الى نور والطائفية الى مزبلة التاريخ.

كان لصبر الشعبين العراقي واللبناني حدود فالفساد قد استشرى والمفسدون تمادوا بفسادهم وانتفخت بطونهم وأوداجهم وخزينة الدولة فاب قوسين أو أدني من الإفلاس والدين العام فاق الموازنة العامة للدولة والآمال في الإصلاح تبخرت والفقر زاد أضعافاً مضاعفة فليس هنالك من سبيل بعد ان ضاقت بهم السبل سوى الثورة على هذه الأوضاع وكان لهم ذلك.

فالحلم بالثورة على تلك الأوضاع أصبح حقيقة وما هو غير واقعي اصبح واقعيا فالمطالب ليست مستحيلة التحقيق والإصلاح ممكن اذا ما توفرت الإرادة من زعماء اصلاحيين.

لننظر مرة اخرى لحال البلدين العراق ولبنان بعد هذه السنيين الطوال من حكم الطوائف والمحاصصات لنرى كيف حوّل هذان البلدان الجميلان الى أشبه ما يكون بالخرائب المهملة المتروكة مما يجسد حالة الخراب الشامل المادي والمعنوي للشعبين العظيمين، وكلما أمعن المراقب للأحداث في كلا البلدين ومراقبة واقع معيشة الشعبين لابد وأن يصل إلى نتيجة بأن الثورة على هذه الأوضاع وعلى المتسببين فيها قادمة لا محالة بسبب المعاناة المستمرة من سوء الأحوال في كل المجالات الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية.

فالإصلاح الموعود من قبل السلطتين العراقية واللبنانية أشبه بالحمل الكاذب، فالأحلام مرجأة والإحباط كبير والإنتظار طال بأكثر مما ينبغي فما كان من هؤلاء الشباب إلا أن يعيدوا الأمل ويرفعوا أصواتهم عالية بضرورة التغيير الذي لا راد له في عرف الشعوب إذا ما أرادت ذلك، ولن يجدي اللعب على عامل الوقت والمراوغة والتسويف من قبل السلطات أمام مطالب محقة لحشود المحتجين المصممين على نيل مطالبهم بالطرق السلمية وسيظل صوتهم يصدح بالثورة طالما بقي فاسد متنفذ.

الإنتفاضات العربية والبعبع المخيف

البعبع لغةً، صُورَةٌ خَياليَّةٌ لِحَيَوانٍ مُرْعِب، الغُولُ، طَيْفٌ مُخيفٌ يُخَوِّفُ الأَطْفالَ. يتعامل الكثير من الأنظمة الحاكمة المستبدة والأحزاب العربية مع شعوبهم كما يتعامل الكبار في تخويفهم للأطفال بالبعبع الخيالي.

جلال إبراهيم

فأيما شعب من الشعوب العربية سولت له نفسه وخرج إلى الساحات والميادين صارخاً بأعلى صوته من أجل حريته وكرامته وتحقيق حلمه في نظام سياسي يحترم حقوقه السياسية والمدنية إلا وتمّ قمعه بوحشية وتخويفه بالبعبع. وهذا البعبع يأخذ صوراً مختلفة: إسرائيل، داعش، الصراع الطائفي، الفراغ والفوضى، الحرب الأهلية.

التنوع الديني والمذهبي والعرقي ليس حكراً على المجتمعات العربية. لذلك لا يعد هذا التنوع مبرراً للهروب من التحول نحو دولة المواطنة والديمقراطية. يوجد في جمهورية سويسرا تنوع ثقافي وإثني ولغوي هائل ومع ذلك تشكل هذه الدولة نموذجاً حضارياً راقياً ومتقدماً في التعايش السلمي وتداول السلطة وفي الحريات والتنمية المستدامة.

تهدد الطبقة الحاكمة الفاسدة في لبنان المتظاهرين السلميين بحدوث الفوضى والانزلاق إلى الحرب الأهلية.

وفي الواقع ما لم تتدخل سلطة الدولة والأحزاب المتماهية معها في الفساد والطائفية وتثير القلاقل والفتن فإن الجماهير اللبنانية ستحافظ على سلميتها لأنها صادقة في توجهها الوطني وواعية في تحقيق أهداف انتفاضتها التي يختصرونها في تحقيق الدولة المدنية الديمقراطية.

أما في العراق فإن البعبع الذي يُرفع في وجه الجماهير العراقية من أجل إيقاف انتفاضته السلمية وخنوعه للطبقة السياسية الفاسدة فهو متعدد ويحمل عناوين مختلفة. بعبع يرفعه رجال الدين الشيعة يتمثل في أن إسقاط الحكم الحالي يعني فقدان السيطرة على أضرحة أهل البيت وعدم ممارسة الشعائر الشيعية الإثني عشرية بصورة واسعة كما هي عليه الآن. وبعبع آخر يتمثل في عودة حكم البعث السيئ الصيت. وأخيراً بعبع عودة داعش الذي سيطر على مساحات واسعة من العراق وأذاق أهله صنوف التوحش والإرهاب.

لا يوجد عاقل ينفي وجود المخاطر والمؤامرات على الكثير من الدول العربية وعلى رأسها وجود إسرائيل في عمق المشرق العربي، ولكن لا يعني كل ذلك مبرراً مقبولاً وكافياً لترسيخ واستمرار أنظمة الفساد والاستبداد التي تعيق خروج الشعوب العربية من حضيرة الدول المتأخرة والمتخلفة إلى مصاف الدول المتقدمة والمتطورة في كافة مجالات الحياة.

هل عرف الشيخ محمد صالح خنجي إمانويل كانط؟
أو "الدين في حدود مجرد العقل" على الطريقة البحرينية

في ذاكرة الثقافة والتعليم الحديث في البحرين، هناك رجل أخذ اسمه وذكره يتلاشى تدريجياً من هذه الذاكرة، وذلك على الرغم من أهميته وأنه نذر عمره كله في التعليم ومن أجل الثقافة. ذلك هو الشيخ محمد صالح يوسف خنجي، وهو مثقف أزهري وُلد في العام ١٨٨٠، وكان يتردد على منتدى الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، وينهل من مكتبته في المحرق منذ أواخر القرن التاسع عشر، ثم التحق بالدراسة في جامعة الأزهر في العام ١٨٩٩/١٩٠٠، وعاد إلى البحرين في العام ١٩٠٢، أي إنه كان يدرس في الأزهر في الفترة التي عُيّن فيها الشيخ محمد عبده مفتياً للديار المصرية، فقد عُيّن في العام ١٨٩٩، وشرع فور تعيينه في تطبيق خطته لإصلاح الأزهر الشريف (كان قبل ذلك عضواً في مجلس إدارة الأزهر الذي كان برئاسة الشيخ حسونة النواوي).

د. نادر كاظم

وإذا كان صحيحاً أن بنود هذه الخطة الإصلاحية لم تطبّق بصورة كاملة، فإنه من المؤكد أن الشيخ محمد صالح استفاد من هذا الإصلاح، ومن تلك الأجواء الإصلاحية والمنفتحة التي كانت تهيمن على مصر في هذه السنوات، فقد صادف أن العام الذي التحق فيه الشيخ محمد صالح بالأزهر الشريف، وفي هذه الفترة كانت مصر مقراً لنخبة مثقفي النهضة الإصلاحية العربية آنذاك، من أمثال فرح أنطون وشبلي الشميل ورشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبي وآخرين. وعلى هذا، فقد عاد الشيخ محمد صالح من الدراسة الأزهرية بعقل منفتح على كل جديد، وبروح إصلاحية متوثبة، فانخرط في سلسلة من الأنشطة الثقافية والتعليمية المتواصلة، فأدار مدرسة أهلية في المحرق درس فيها عبد الله الزايد، كما أسس مع تسعة من رفاقه «نادي إقبال أوال الليلي» ومكتبته، وانتخب رئيساً له، إلا أن النادي سرعان ما أغلق فاضطر إلى السفر للعمل في بومبي، وعاد ليكون كاتب الإدارة الخيرية للتعليم وهي اللجنة المكلفة بالإشراف وإدارة مدرسة الهدية الخليفية منذ العام 1919، ثم عُيّن في الثلاثينات معاوناً لرئيس بلدية المحرق، إلا أنه التحق بسلك التعليم في أوائل الأربعينات، وبقي فيه حتى وفاته في العام 1966. وعلى هذا يمكننا أن نقول بأن هذا الأزهري المتنور كان قد نذر حياته من أجل التعليم والثقافة في البحرين على مدى أكثر من نصف قرن.

لكن لماذا الإشارة إلى هذا الأزهري المتنور؟ يرجع السبب في ذلك إلى قدرة هذا الرجل على التأصيل الفكري والديني للتسامح وأصل الحاجة إليه. إن التعليم الحديث مدين لهذا الرجل بمقالة مهمة كتبها ليسجل فيها مجريات الاحتفال بوضع حجر الأساس لمدرسة الهداية الخليفية والخطب التي ألقيت بهذه المناسبة. كتب الشيخ محمد صالح مقالة بعنوان «الحياة الجديدة في البحرين»، وأرسلها في العام 1920 للنشر في مجلة الهلال المصرية. وهو يفتتح هذه المقالة بالتذكير بالطبيعة الجزرية للبحرين، حيث «جزرة البحرين الواقعة في الخليج» يتمتع «جميع أهاليها وسكانها على اختلاف مذاهبهم والأديان بكل الطمأنينة والرفاهية»، وفي المقالة أيضاً، يعبّر عن رؤاه الكونية الإنسانية وروحه المنفتحة والمتسامحة والمحبة للوفاق والتآلف والأخوة الإنسانية، فيقول: «أيها السادة، ما أحسن الاتحاد والاتفاق والاجتماع والوفاق والمحبة والتآلف بين العناصر والأجناس، وما أجمل ارتباط العالم الإنساني بالمحبة المتبادلة والمودة المشتركة لتبادل المصالح والمنافع وارتباط العالم بعضه ببعض، فالخير في أن يعيشوا أصدقاء، ويحسبوا أنفسهم أخوة أشقاء».

إلا أن الأهم من هذه الإشارات العابرة أن للشيخ محمد صالح خطبة ألقاه في نادي إقبال أوال الذي كان يرأسه في العام 1913. وهي خطبة عن الأديان، وفيها يقدم تأصيلاً مبكراً وشجاعاً للتسامح بين البشر إلى درجة أن الرجل الذي حفظ لنا معلومات سيرية عامة عن حياته، أقصد المرحوم مبارك الخاطر، لم يتورع عن اتهام الشيخ محمد صالح بأنه «يتحدث بلهجة استشراقية تبشيرية» في خطبه ومحاضراته. وهو اتهام سبق لمبارك الخاطر نفسه أن وجهه لناصر الخيري، زميل الشيخ محمد صالح في تأسيس نادي إقبال أوال، وذلك بعد رسالة أسئلة الحج الشهيرة التي أرسلها ناصر إلى رشيد رضا، صاحب مجلة المنار. فبعد أن أثبت مبارك الخاطر رسالة ناصر كاملة، ذيّلها بتعليق يقول فيه بأن هذه الرسالة «تعج بتعبيرات تعد آنذاك من تعبيرات المبشرين والمستشرقين حينما كانوا يحاولون النيل من الشعائر الإسلامية»، وكأنه يريد أن يقول بأن ناصر الخيري والشيخ محمد صالح خنجي قد تأثرا بأفكار المبشرين والمستشرقين، وذلك في تجاهل شبه كامل للمنحى التنويري والتسامحي الذي كان يسلكه ناصر والشيخ محمد صالح ورفاقهما آنذاك. وهو موقف كان موضع انتقاد ناصر الخيري عندما انتقد، ذات مرة، الفقهاء ورجال الدين الجامدين الذين كانوا يكرهون «مطالعة الجرائد والمجلات العلمية، ويكرهون جميع الكتب العصرية على اختلاف أنواعها ومشاربها، ويسمون أصحابها مبتدعة لخروجهم في التأليف عما ألفوه من قديم، ويغالي بعضهم بتكفير من يقرأها وتفسيقه».

على الطرف النقيض من هذا الجمود والارتياب من كل فكر جديد وعصري آنذاك، كان الشيخ محمد صالح أزهرياً متنوراً ومتحلياً بأخلاقيات إنسانية كونية نادرة في هذه الحقبة من تاريخ الثقافة في البحرين. وهو ما تكشف عنه هذه الخطبة التي نحن بصدد مقاربتها، حيث يقدّم الشيخ محمد صالح، في هذه الخطبة، وعياً مبكراً بأكبر خطر يهدد التسامح بين الجماعات المتنوعة، وهو التعصب الديني المغلق والذي يجعل أصحابه يعتقدون، على نحو يقيني ومطلق وحاسم، بأنهم هم وحدهم يمتلكون «الحقيقة المطلق»، و«الدين الحق»، و«الفرقة الناجية»، وعلى «الصراط المستقيم»، وأن كل من عداهم مهرطقون وهالكون وسائرون إلى جهنم غير مأسوف عليهم. ومن هنا، فإن المهمة الأولى التي أمام أي مثقف مستنير في ذلك العصر هي تفكيك هذا «العقل اللاهوتي المغلق» ومواجهة هذا التعصب الديني الخطير. وهي المهمة التي اضطلع بها الشيخ محمد صالح بشجاعة منقطعة النظير في هذه الفترة المبكرة من عمر الثقافة الحديثة في البحرين.

قبل سنوات طويلة من ظهور أبرز أطروحات «القراءات الحداثية» للدين والنص الديني (عبد الكريم سروش، وفضل الرحمن مالك، وعبد المجيد الشرفي، ونصر حامد أبو زيد، ومحمد أركون وآخرين)، كان الشيخ محمد صالح قد توصل إلى أهمية الحاجة إلى تقديم قراءة «حداثية» للدين والشريعة بحيث تسمح بالتمييز بين ما هو جوهري في الدين، وما هو تاريخي في الشريعة. فقد ميّز، في خطبته، بين الدين والشريعة، وهو يرى أن «الأديان الحقة بأسرها متحدة في الغاية والمقصد والغرض»، أما الاختلاف فيما بينها فيكمن في «الأساليب المتنوعة التي تشرّع للإيصال إلى تلك الأغراض المتحدة والمطالب المتفقة». ويطلق على هذه الغاية اسم الدين، وعلى الأساليب المتنوعة اسم الشريعة، فإن الدين، في جوهره، واحد، فيما الشرائع متنوعة. والوظيفة الأساسية للدين وظيفة روحية وأخلاقية وتتصل «بتطهير الأخلاق وتهذيب الأنفس وتزكية الأرواح»، في حين أن الشرائع تؤدي وظائف دنيوية وتتعلق «بسياسة البشر في أحوالهم المدنية وشئونهم

يتبع

ما تأثر به الرواد
لم يكن فكراً تبشيريًا
أو استشراقيًا،
وإنما هو فكر التسامح
الذي ميّز
عصر التنوير

يتبع

الجنائية والسياسية». والدين بهذه الصفة مسألة روحية وقلبية وأخلاقية، وهو واحد وثابت لا يتغيّر في كل الديانات؛ لأنه الغاية المقصودة لذاتها، في حين أن الشرائع، بوصفها أساليب لتحقيق تلك الغاية عبر «صور العبادات وأنواع الرياضات والنظامات والقوانين والقواعد»، فإنها تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان والظروف وأحوال الاجتماع والعمران وطبيعة الإنسان، بل إن «الشريعة تتغيّر أدوارها في أدوار النبي الواحد، وفي أدوار أمته». والشريعة بما هي كذلك ينبغي أن تكون «مؤسسة على القاعدة الكلية الشرعية وهي درء المفاسد وجلب المصالح». أما المعنيون بتقرير هذه المصالح فلا ينحصرون برجال الدين، بل يفتح الشيخ محمد صالح مفهوم «طاعة أولي الأمر»، مستنداً على رأي رشيد رضا، على طائفة واسعة من أهل الاختصاص والخبرة والمعرفة، وهم «العلماء، والرؤساء في الجيش والمصالح العامة كالتجارة والصناعة والزراعة، وكذا رؤساء العمّال والأحزاب، ومديرو الجرائد المحترمة، ورؤساء تحريرها».

يمضي الشيخ محمد صالح قُدُماً بشجاعة منقطعة النظير ليحدد الدين في بعده الروحي والأخلاقي في ثلاثة أصول لا غير، وهي: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والعمل الصالح. وهي الأصول الثلاثة التي تشير إليها الآية القرآنية الكريمة: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة/62). ويؤسّس على هذا الفهم قناعته بأن «نجاة البشر وسعادتهم» إنما ترتبط بهذه الأصول الثلاثة، و«حيثما وجدت في أي زمان من الأزمنة، وأي مكان من الأمكنة، ومجموعة في أي ملة من الملل، وأي طائفة من الطوائف، فهنالك السعادة، وهنالك الأخلاق الفاضلة التي عليها مدار الأمم وارتقاؤها». ولا عبرة، هنا، باختلاف الديانات، فالمسلم واليهودي والمسيحي وغيرهم من أبناء الديانات الأخرى ممن أمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً، فكل هؤلاء تشملهم السعادة والنجاة. أما الإسلام فإن الشيخ محمد صالح يذهب في تأويله إلى أن المقصود بالاسم هو معناه الحرفي أي «الدخول في السلم الذي هو مسالمة المؤمنين». وهو ما يسمح للشيخ بالاستنتاج بأن الإسلام، أي كدين مسالمة المؤمنين، هو «دين جميع الأنبياء والمرسلين»، وهو «الدين العام لجميع أمم المستقبل».

ومما يدلّ على أن الشيخ محمد صالح كان يتبنى هذه الأفكار الإصلاحية عن قناعة وتأصيل، أنه أعاد التذكير بها بعد مرور تسع سنوات على هذه الخطبة. فحين زار أمين الريحاني البحرين، وجرى تكريمه في النادي الأدبي بالمحرق في العام 1922، قام الشيخ محمد صالح وقال مخاطباً الريحاني: «إن الأديان الحنيفة روحها واحد، وإنما تختلف الشرائع التي تتضمن أحكام المرافعات وفصل الخصومات، فالأديان بروحها ومغزاها تدعو للاجتماع والاتحاد، والشرقيون كلهم عائلة واحدة، وخلاصهم وسعادتهم في أن يسود النظام بينهم والوفاق والتضامن». نحن هنا أمام الأفكار ذاتها، أي التمييز بين الدين والشرائع، وتلك الروح الإنسانية المحبة للوفاق والتضامن والسلم والمسالمة بين البشر.

هل هذه أفكار تبشيرية واستشراقية؟ إن التدقيق في فكر هؤلاء الروّاد إنما يكشف أن الفكر الذي تأثروا به لم يكن تبشيرياً ولا استشراقياً على الإطلاق، بل هو فكر التسامح الذي ميّز عصر التنوير الأوروبي منذ القرن السابع عشر مع «رسالة في التسامح» (1689) لجون لوك، و«رسالة في التسامح» (1763) لفولتير، وميّز الفكر العربي الإصلاحي في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين أي في الفترة التي كان الشيخ محمد صالح يتلقى تعليمه في الأزهر الشريف. والحقيقة أن تهمة التأثر بالتبشير والاستشراق في فكر هؤلاء الرواد لا تنم إلا عن قصور في فهم صاحبها لحقيقة التبشير والاستشراق وفكر التنوير؛ لأن الاستشراق يكشف، في معظمه، عن نظرة دونية تجاه العرب والإسلام، كما أن التبشير ينهض على تصور يقيني مطلق بأحقية الدين المسيحي وبطلان الأديان الأخرى. والحاصل أن مرتكزات خطبة الشيخ محمد صالح تقع على طرفي نقيض مع هذه الأفكار المغلقة. فهو يوسّع آفاق السعادة والنجاة ليفتحها على كل الديانات، ويضع هذه الأخيرة كلها على قدم المساواة دون تفاضل مطلق. والمقارنة السريعة بين خطبة الشيخ محمد صالح ورسالتي «التسامح» لجون لوك وفولتير تكشف حجم التشابه بينها. يفتتح جون لوك رسالته بالتشديد على أهمية التسامح بين المسيحيين وبين «البشرية بمن فيها من غير المسيحيين»، ويقدم نقداً قاسياً لنشاطات التبشير التي ترمي إلى «إجبار الناس على اعتناق آراء معينة، والانتماء إلى عبادات وطقوس معينة بغض النظر عن الجانب الأخلاقي». وهو يميّز بين الدين كإيمان داخلي وما سواه من عبادات برانية وطقوس وسياسات وأساليب عقابية وقهر. إن وظيفة الدين الحق، كما يقول، هي «تنظيم حياة البشر استناداً إلى قواعد الفضيلة والتقوى»، كما أن غاية الدين تتجسد في الخلاص الروحي.

وعلى هذا فإن الديانات تتساوى في جوهرها، الأمر الذي يحتمّ ضرورة «التسامح بين أولئك الذين يعتقدون عقائد مختلفة في أمور الدين»، وأن هذا التسامح «يتسق مع العهد الجديد الذي أتى به السيد المسيح، كما يتمشى مع مقتضيات العقل الإنساني الحق».

من الصعب أن يكون الشيخ محمد صالح قد تأثر في تأصيله للتسامح بأفكار جمال الدين الأفغاني الذي لم يكن يرى في التسامح سوى أنه واجهة استعمارية براقة تخفي وراءها «قصداً معيناً هو النيل من وحدة الأمة». ولا يبدو أنه استقى هذا التسامح من فكر الشيخ محمد عبده على الرغم من انفتاح الشيخ الإمام واعتداله وتأصيله للتسامح في الإسلام بمنطق دفاعي لا يخلو من

يتبع

يتبع

الهجوم على الديانات الأخرى مثل النصرانية.

وهذا أمر جلي في السجالات التي دارت بين الشيخ محمد عبده والمسيو هانوتو، وزير خارجية فرنسا آنذاك، وبينه وبين فرح أنطون، صاحب مجلة «الجامعة». لا يتردّد الشيخ محمد عبده في التأكيد على «سماحة» الشريعة الإسلامية التي كانت «تسع العالم بأسره»، وذلك «أيام كان الإسلام إسلاماً»، كما لا يتردد في القول بأن التسامح (ومودة المخالفين في العقيدة كما يسميه) أصل من أصول الإسلام، وهو الأصل الذي يكتسب صلابته من حقيقة أساسية وهي أن «الدين معاملة بين العبد وربه»، أي إن الدين علاقة قلبية وخاصة بين الإنسان وربه، وما في القلب لا يعلمه إلا الله، ولا يحاسب عليه إلا هو، وليس من حق أحد من المخلوقين أن يحاسب أحداً على ما في القلب من عقيدة. لكن التأمل في أفكار رائد تنويري آخر انخرط مع الشيخ محمد عبده في سجال رفيع المستوى حول قضايا التسامح والدولة والأديان وحرية الاعتقاد، نقصد بذلك فرح أنطون، يكشف مدى التقارب بين أفكار فرح أنطون عن التسامح (أو التساهل كما كان يسميه) وتأصيل الشيخ محمد صالح للتسامح ووحدة الأديان. لقد دار ذلك السجال على صفحات مجلة فرح أنطوت، مجلة «الجامعة»، في الوقت الذي كان الشيخ محمد صالح يدرس في الأزهر الشريف، وهو السجال الذي نشره فرح أنطون مع كتابه «فلسفة ابن رشد» في العام 1903.

قد يكون الشيخ محمد صالح استمد أفكاره التسامحية حول وحدة الأديان و»دين الحب» في التصوف الإسلامي الذي بلغ ذروة اكتماله مع الشيخ الأكبر ابن عربي (1165–1240) الذي كان يرى أن الأديان صور مختلفة لحقيقة واحدة، وأن كل الطرق تؤدي إلى الله، وأن الحق لا ينحصر في عقيدة دون أخرى. ولكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى التشابه الكبير بين أفكار الشيخ محمد صالح وتصور فرح أنطون عن الدين. وبالنسبة لفرح أنطون، فإن الدولة الحديثة ينبغي أن تتأسس على ضرورة الفصل بين الدولة (السلطة المدنية) والدين (السلطة الدينية)، وهذا لا يتحقق إلا بتأسيس الدولة على التسامح، وعلى احترام الاعتقادات المختلفة؛ وذلك لأن الأديان في جوهرها واحدة، وغاية جميع الأديان واحدة وهي الخلاص الروحي والفضيلة (تهذيب الأخلاق). وعلى هذا «تصير الأديان كلها طرقاً للفضيلة والصلاح والوئام». كما أن «طبائع الأديان كلها منزهة عن الشر وداعية إلى الخير، وكلها تستمد من الله لإصلاح شأن البشر»، أما غرض الأديان في الأرض فهو «تعليم الناس عبادة الله تعالى، وحثهم على الفضائل وإصلاح شؤونهم». وهذا غرض ثابت لا يتغيّر، لكن أحوال الناس تتغيّر بتغير الزمان والمكان والمقتضيات، الأمر الذي يحتم تغيّر الترتيبات والسياسات والقوانين التي يسميها فرح أنطون «السلطة المدنية» أي الدولة، ويسميها الشيخ محمد صالح «الشريعة».

يحيل كل من الشيخ محمد عبده وفرح أنطون، في واحد من سجالاتهما حول التسامح واضطهاد حرية الفكر والعقيدة في الإسلام والنصرانية، على التاريخ الإسلامي والأوروبي في العصور الوسطى، لكن الحقيقة أن التسامح كحاجة عامة ملحة وضرورية لم ينبثق إلا في أوروبا في القرن السادس عشر، وذلك في محاولة لاستيعاب الخلل الكبير وإصلاح الضرر والتفكك الذي أحدثته حركة الإصلاح الديني مع مارتن لوثر منذ العام 1517، ومع تصاعد ضراوة الحروب الدينية التي مزّقت أوروبا طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر. إلا أن التسامح، في الأصل، قيمة أخلاقية وإنسانية كونية لا تمليها الظروف والمعطيات المتبدلة، لأنه ينبع من مبدأ الواجب المطلق كما يسميه إمانويل كانط، وهو الذي يعبّر عنه بقوله «لا تفعل الفعل إلا بما يتفق مع المسلمة التي تمكنك في نفس الوقت من أن تريد لها أن تصبح قانوناً عاماً». ويعبّر فولتير عن هذا الأمر المطلق والقانون الطبيعي الذي يعتبره «المبدأ الأعظم، والمبدأ العام لكل القوانين في كافة أرجاء المعمورة، ويتلخص كالآتي: «لا تفعل ما لا ترغب في أن يُفعل بك». فإذا قال إنسان لآخر: «آمن بما أؤمن به وإلا كان مصيرك القتل أو الهلاك»، فإن كان من حق هذا الإنسان أن يقول ويتصرف بناء على هذا، فإن هذا يصبح حقاً عاماً وقانوناً كونياً، أي إنه من حق إنسان آخر أيضاً أن يرد على الأول بالمثل، ويفعل به الأمر ذاته؛ لأن الفعل الأخلاقي هو ما يقبل أن يصبح «قانوناً كونياً»، أي إن على البشرية جمعاء أن تقوم به. ومن هنا يكون التعصب والتحامل والكراهية، وهو نقيض التسامح، شراً أخلاقياً؛ لأنه لا يقبل أن يصير «قانوناً كونياً»، وفي حال حصل ذلك، فإن مصير البشرية كلها سيكون مهدداً بالخطر. أما الذي يصلح ليكون قانوناً كونياً ويشتمل على تشريع واقعي لأفعالنا فهو التسامح واحترام الآخر المختلف وتقدير كرامته الإنسانية وحقه الأصيل في أن يكون ما يريد أن يكون عليه، وفي أن يكون مختلفاً، وفي عدم مصادرة حقه في الإرادة الحرة وحرية الاختيار.

والإشارة إلى إمانويل كانط هنا ليست عرضية؛ وذلك لأن التشابه المذهل بين أفكار كانط عن الدين، وأفكار الشيخ محمد صالح خنجي تغري بالمقارنة بينهما. لقد ميّز كانط، قبل الشيخ محمد صالح بأكثر من قرن أي في العام 1793 عندما صدر كتابه «الدين في حدود مجرد العقل»، بين الدين الأخلاقي أو العقلي المحض، والمعتقدات الطقوسية والشعائرية. ورأى أن الدين العقلي والأخلاقي هو الدين الكوني والمجرد من أية إضافات تتصل بالأحكام والشريعة والطقوس والشعائر. إن الدين الأخلاقي المحض دين كوني لكل العالم ويتأسس على «الواجب الأخلاقي» وحده، وهو واجب مجرد من الإكراه، لأنه لا يقع سوى «تحت قوانين الفضيلة بمجردها»، في حين تكون المعتقدات الأخرى معتقدات تاريخية ومحلية وتخص شعباً معيناً في زمن ومكان معينين. وعلى هذا فنحن أمام نوعين من الإيمان: الأول إيمان عقلي وأخلاقي محض وكوني وصالح لكل زمان ومكان، وهو ما يسميه الشيخ محمد صالح بـ»الدين العام» لجميع الأنبياء والمرسلين ولجميع الأمم في الماضي والمستقبل، والإيمان الثاني إيمان تاريخي ومحلي وخاضع «تحت ظروف الزمان والمكان»، وهو ما يسميه الشيخ محمد صالح بالشريعة التي تتعدد وتتغير بتغير الزمان والمكان والظروف وأحوال العمران.

يتجاوز التشابه بين أفكار الاثنين هذا المستوى، فكانط كان يرى أن الإيمان العقلي المحض هو وحده الذي يستحق أن نسميه «الدين»، أما ضروب الإيمان التاريخي فيسميها «معتقدات». وبالنسبة إلى كانط فإن الأصل الذي يتأسس عليه الدين هو أصلاً أخلاقي غرضه «التحسين الخلقي للإنسان»، فهذه هي الغاية الأساسية لكل دين عقلي. وبما أن كل دين عقلي غرضه أخلاقي محض، فإن كل الأديان هي في الأصل دين واحد، لان الدين العقلي المحض لا يسمح «أن نفكر إلا في إله واحد، وبالتالي أيضاً، إلا في دين واحد، هو يكون خلقياً محضاً». وبتعبير آخر فإنه «لا يوجد إلا دين حق واحد، إلا أنه يمكن أن يكون ثمة ضروب كثيرة من المعتقدات».

بالنسبة إلى كانط أيضاً، فإن الدين العقلي المحض يتأسس على الأخلاق، وهذه لا تتأسس على شيء سوى حريتنا أو إرادتنا الحرة كبشر في التوافق مع الواجب الأخلاقي أو الانحراف عنه، بمعنى أن ما يجعلنا خيرين أو شريرين ليس طبيعتنا الخيرة أو الشريرة (بالرغم من اعتراف كانط بأن هناك نزوعاً واستعداداً طبيعيين للشر والخير في الإنسان)، بل إرادتنا الحرة في أن نفعل الخير أو الشر. والحقيقة أن التسامح ينطوي، في جوهره، على اعتراف أكيد بالإرادة الحرة وحرية الاختيار التي يمتلكها كل إنسان، وعلى هذا يكون التعصب هو محاولة لمصادرة هذه الإرادة من البشر. وفي الكتب المقدسة تأصيل لذلك على نحو صريح أو ضمني. فهناك آيات في القرآن الكريم تتكرر بأكثر من صيغة لتشدد على معنى أساسي واحد وهو امتناع إرادة الله سبحانه وتعالى عن توحيد الناس في أمة واحدة: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» (هود/118)، و" وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً" (المائدة/48)، و" وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً" (النحل/93).

والعارفزن بالنحو العربي يعرفون جيداً أن "لو" هي حرف "امتناع لامتناع" أو "انتفاء لانتفاء" أي امتناع جواب الشرط لامتناع فعل الشرط، وهنا يكون المعنى كالتالي: امتنع جعل الناس أمة واحدة لامتناع إرادة الله عن ذلك، وعلى هذا يكون التعصب الساعي إلى توحيد البشر كلهم وجعلهم أمة واحدة تدين بدين أو اعتقاد أو أيديولوجيا أو توجه واحد، يكون هذا النوع من التعصب بمثابة اجتراء آثم على إرادة الله. وفي تأويل آية "لا إكراه في الدين" (البقرة/256)، يذكر الفخر الرازي رأي المعتزلة القائل بأن "الله تعالى ما بنى أمر الإيمان على الإجبار والقسر، وإنما بناه على التمكن والاختيار"؛ أي إن الدين هو غير القابل للقهر والقسر والإكراه والإجبار، أي إنه الإيمان القلبي لأنه وحده غير القابل للإكراه، فلو كان الإيمان القلبي قابلاً للإكراه لسقط الغرض من الامتحان والابتلاء واستحقاق العقاب أو الثواب، وهذا "ينافي التكليف"، ولهذا امتنعت إرادة الله عن ذلك: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" (يونس/99). وليس من الصعب أن يستنتج أحدنا من هذه الآية، كما يشير الفخر الرازي، أن الإيمان المقصود هنا هو الإيمان بالقلب، وهذا لا سبيل لأحد على إكراه أحد عليه أو قهره إلا الله؛ لأن "القدرة القاهرة والمشيئة النافذة ليست إلا للحق سبحانه وتعالى"، والله سبحانه وتعالى ما أراد ذلك، وانتفاء إرادة الله عن ذلك يفسح المجال أمام حرية إرادة الإنسان في الاختيار. وهو الأصل الذي ينبني عليه التسامح بما هو احترام لحرية الإنسان وإرادته الحرة. ويرى كانط إن إرادة الإنسان الخيرة حين تتوافق مع الواجب الأخلاقي المطلق فإنها تكون تجسيداً لإرادة الله الخيرة، وهي عمل بقانون الله المكتوب في القلب والروح، وكانط يفهم هذه الآيات من الإنجيل بهذا التأويل: "إن ملكوت الله يوجد في داخلكم" (إنجيل لوقا 22:17)، و"ليس كل من يقول لي: يا ربّ، يا ربّ، يدخل ملكوت السماوات، بل الذين يفعلون إرادة الرب" – (إنجيل متى 21:7).

«البيان الشيوعي» بعد مرور ١٧٠ عاماً (١– ٢)

كان سمير أمين (١٩٣١–٢٠١٨) مديراً لمُنتدى العالم الثالث في العاصِمة السنغالية دكار، ومؤلف للكثير من الكُتُب، آخرها "الإمبريالية الحديثة"، و"الرأسمالية المالية الاحتكارية"، و"قانون القيمة عند ماركس".
هذا المقال هو آخر مقال بعث بهِ سمير أمين إلي مجلة اليسار Monthly Review قبل وفاتهِ. وطلب من المجلة أن تُؤخر نشر المقال إلى أن يصدر أولاً في مجلة النشرة السوسيولوجية، الصربية الأمر الذي حدث بالفعل.

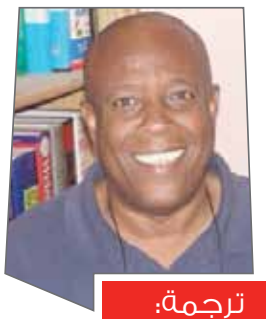

ترجمة:
غريب عوض

بقلم: سمير أمين

1

لا يوجد نص آخر كُتِبَ في مُنتصف القرن التاسع عشر وبقي صامداً مثلُ البيان الشيوعي لعام 1848 لكارل ماركس وفريدريك أنجلز. وحتى اليوم، فقرات كاملة من النص تتوافق مع الواقع المُعاصر أفضل مما كانت عليهِ في عام 1848. إنطلاقاً من المُقدمات المنطقية التي كانت بالكاد مرئية في عصرهما، توصل ماركس وأنجلز إلى استنتاج مفادهُ أن تطورات 170 عاماً من التاريخ تأكدت بالكامل.

هل كان ماركس ورفيقه إنجلز نبيين مُلهمين، ساحرين قادران على النظر في كُرة بلورية، أم كائنين إستثنائيين فيما يتعلق بحدسيهُما؟ كلا. هُما ببساطة أدركا أفضل من أي شخص آخر، في زمنهُا وزمننا، جوهر ذلك الذي يُحدد الرأسمالية ويُميّزُها. لقد نذر ماركس كامل حياته في تعميق هذا التحليل من خلال الفحص المُزدوج للإقتصاد الجديد، مُبتدءاً بإنجلترا كمِثال، والسياسة الجديدة، بدءاً بالمثال الفرنسي.

لم يُقدم كِتاب رأسمال المال لماركس تحليلاً علمياً دقيقاً لنمط الإنتاج الرأسمالي والمجتمع الرأسمالي، وكيفية اختلافهما عن أشكال سابقة. يغوص المُجلد الأول في قلب المشكلة. فهو يوضح مُباشرةً معنى تعميم تبادلات السلعة بين مُلاك العقارات الخاصة (ظاهرة فريدة في مركزيتها بالنسبة لعالم الرأسمالية الحديث، على الرغم من أن تبادل السلع كان موجوداً سابقاً)، وتحديداً، ظهور وهيمنة القيمة والعمل الاجتماعي النظري. وانطلاقاً من تلك القاعدة، يقودُنا ماركس إلى فهم كيف أن بيع البروليتاري لقوة عمله/عملها إلى «الشخص الذي يملك المال» يضمن إنتاج فائض القيمة التي يُصادرها الرأسمالي، والتي هي بدورها، شرط لتراكم رأس المال. إن هيمنة القيمة لا تُسيطر على إعادة إنتاج النظام الاقتصادي للرأسمالية فحسب، بل على كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية الحديثة. ويُشير مفهوم الأغتراب السلعي إلى الآلية الأيديولوجية التي يتم من خلالها التعبير عن الوحدة الشاملة للتكاثر الاجتماعي.

لقد أثبتت هذه الأدوات الفكرية والسياسية، التي تمّ التحقق من صحتها بتطوّر الماركسية، قيمتها في التنبؤ الصحيح للتطور التاريخي العام للواقع الرأسمالي. لم تكن هناك أية محاولة للتفكير في هذا الواقع خارج الماركسية أو ضدها في كثير من الأحيان أدت إلى نتائج مُماثلة. إن انتقاد ماركس لقيود الفكر البرجوازي، وخاصة العلوم الاقتصادية، والذي وصفهُ بحق بأنهُ «مُبتذل»، أمرٌ بارع. ونظراً لأنهُ غير قادر على فهم ماهية الرأسمالية في واقعها الأساسي، فإن هذا الفكر الغريب غير قادر أيضاً على تخيُّل مصير المجتمعات الرأسمالية. هل سيتم تشكيل المستقبل بثورات اشتراكية تضع حداً لهيمنة رأس المال؟ أم أن الرأسمالية ستنجح في إطالة أيامها، وبالتالي فتح الطريق أمام تدهور المجتمع؟ يتجاهل الفكر البُرجوازي هذهِ القضية التي طرحها البيان الشيوعي.

وبالفعل، لقد قرأنا في البيان الشيوعي بأن هناك «معركة تنتهي في كل مرة إما بإعادة تشكيل ثورية للمجتمع ككُل، أو بالخراب العام للطبقات المُتنافسة».

أثارت هذه الجُملة انتباهي لفترة طويلة. وانطلاقاً منها، توصلتُ تدريجياً إلى صياغة قراءة لحركة التاريخ تُركّزة على مفهوم التطور غير المُتكافئ والعمليات المختلفة المُحتملة لتحوله، نابعة على أكثر تقدير من أطرافه بدلاً من مراكزه. كما أنني قُمتُ أيضاً ببعض المُحاولات لتوضيح كل نموذج من نموذجي الاستجابة للتحدي: الطريقة الثورية وطريقة الانحطاط.

وبعد أن اخترت استخلاص قوانين المادية التاريخية من التجربة العالمية، تقدمتُ بصياغة بديلة لنمط ما قبل رأسمالي فريد من نوعه، وهو نمط الجزية [أخذ الجزية أو الإتاوة من الأمم المحيطة بالإمبراطورية مقابل السماح لها بالعيش والبقاء، الأمر الذي تميل إليه كافة المجتمعات الطبقية. تاريخ الغرب – بناء الآثار الرومانية، وانحلالها، تأسيس أوروبا الإقطاعية، وأخيراً، إن تبلور الدول المُطلقة للعصر التجاري يُعبّر، في شكل مُعيّن، عن نفس الاتجاه الأساسي المقدم في مكان آخر نحو البناء الأقل تقطعاً لدول تابعة كاملة، والتي تُعد الصين أقوى مثال على ذلك. إن نمط العبودية ليس عالمياً في قراءتنا للتاريخ، كما النمطين الجزية والرأسمالي، فهو خاص، ويظهر حصرياً مرتبطاً بتوسع العلاقات السلعية. بالإضافة إلى أن النمط الإقطاعي هو الشكل البدائي غير المكتمل لنمط الجزية.

تُبيّنُ هذه الفرضية إنشاء روما وتفكُّكها لاحقاً كمُحاولة سابقة لأوانها لبناء نمط الجزية. إن مستوى تتطور قوى الإنتاج لم يتطلب تمركز الجزية بنفس حجم الإمبراطورية الرومانية. وهكذا، أعقبت هذه المحاولة الأولى التي لم تنجح انتقالاً قسرياً من خلال تفتُّت النظام الإقطاعي، والذي تم على أساسه استعادة المركزية مرة أُخرى في إطار أنظمة المَلَكيات المُطلقة في الغرب. عِندها فقط،

يتبع

يتبع

اقترب نمط الإنتاج في الغرب من نموذج الجزية الكامل. علاوة على ذلك، لم يبلغ مُستوى تطوّر قوى الإنتاج في الغرب نمط الجزية المُكتمل كما في إمبراطورية الصين إلا حينما بدأ بهذهِ المرحلة؛ وهذا بلا شك ليس صِدفة.

إن تخلُف الغرب، الذي عبر عنهُ إجهاض روما وتفتُت النظام الإقطاعي، أعطاه بالتأكيد ميزة تاريخية. وبالفعل، فإن الجمع بين عناصر مُحددة من نمط الجزية القديم والأنمـاط المجتمعية البربرية ميّزت النظام الإقطاعي وأعطت الغرب مرونتهِ. وهذا يشرح السرعة التي من خلالها جربت أوروبـا مرحلة الجزية كاملة، متجاوزةً بسرعة مستوى تطور قوى الإنتاج في الشرق، الذي تجاوزتهُ وانتقلت إلى الرأسمالية. وهذهِ المرونة والسرعة تناقضت مع التطور البطيء نسبياً لأنماط الجزية الكاملة في الشرق.

مما لا شك فيه إن الحالة الرومانية الغربية ليست هي المِثال الوحيد لبناء جزية فاشلة. بإمكاننا تقديم ثلاث حالات أُخرى على الأقل من هذا النوع، كلُ حالة مع ظروفها المُحددة الخاصة: حالة الإمبراطورية البيزنطية – الإمبراطورية العثمانية، وحالة الإمبراطورية الهندية، وحالة إمبراطورية المغول. في كل حالة من هذهِ الحالات، كانت محاولات تثبيت أنظمة الجزية المركزية أعلى بكثير من مُتطلبات تطوير القوى المُنتِجة لتكون راسِخة. في كل حالة، من المحتمل أن تكون أشكال المركزية عبارة عن مزيج مُحدد يتكون من الدولة ونظام شبه إقطاعي ووسيلة سلعة. ففي الدولة الإسلامية على سبيل المِثال، لعبت مَركزية السلعة دوراً حاسماً. ولا بُد أن الإخفاقات الهندية المُتعاقِبة مُرتبطة بمحتويات الأيديولوجيا الهندوسية، التي تعارضت مع الكونفوشيوسية. أما بالنسبة لمركزية إمبراطورية جنكيزخان، كما نعلم، لم تدوم طويلاً.

إن النظام الإمبريالي المُعاصر هو أيضاً نظام مركزية الفائض على مُستوى العالم. وتعمل هذهِ المركزية على أساس القوانين الأساسية للنمط الرأسمالي وشروط هيمنته على أنماط ما قبل الرأسمالية في دول المُحيط. لقد قُمتُ بصياغة قانون تراكم رأس المال على المستوى العالمي كتعبير عن قانون القيمة الذي يعمل على هذا المستوى. ويتميّز النظام الإمبريالي لمركزية القيمة بسرعة التراكم وبتطور قوى الإنتاج في مركز النظام، في حين إنها تتخلف وتتشوه في مناطق المحيط أو الأطراف. التنمية والتخلف وجهان لِعُمَلة واحِدة.

الشعوب فقط هي التي تصنع تاريخها بنفسها. لا تستطيع الحيوانات ولا الكائنات غير الحية أن تتحكم في تطورها؛ إنها خاضعة لهُ. مفهوم التطبيق العملي مُناسب للمجتمع، كتعبير عن تركيب الحتمية والتدخُل البشري. كما أن العلاقة الجدلية بين البُنية التحتية والبُنية الفوقية هي أيضاً مُناسبة للمجتمع وليس لها مثيل في الطبيعة. وهذهِ العلاقة ليست من جانب واحد. فالبُنية الفوقية هي ليست إنعكاساً لاحتياجات البُنية التحتية. لو كانت القضية كذلك، فسيكون المجتمع دائماً غريباً ولن يكون من المُمكن رؤية كيفية إمكانية نجاحه في تحرير ذاتهِ.

هذا هو السبب في أننا نقترح التمييز بين شكلين مُختلفين إختلافاً نوعي من التحوّل من نمط إنتاج إلى آخر. إذا تطور هذا التحول في اللاوعي، أو بوعي غريب، أي أن الأيديولوجيا التي تؤثر على الطبقات لا تسمح لها بالتحكُم في عملية التغيير، تظهر هذهِ العملية كما لو أنها تعمل بشكل مُماثل للتغيير في الطبيعة، وحيثُ تُصبح الأيديولوجيا جزء من هذهِ الطبيعة. فبالنسبة لهذا النوع من التحوّل، فإننا نحتفظ بعبارة «نموذج الانحطاط». في المُقابل، إذا كانت الأيديولوجيا تستحوذ على البُعد الحقيقي للتغييرات المبتغاة في مُجملها، عندها فقط يمكننا التحدث عن الثورة.

اعتقدت البرجوازية أن عليها أن تتجاهل هذهِ القضية لكي تتمكن من أن تعتبر الرأسمالية نظام عقلاني إلى الأبد، وتتمكن من التفكير في «نهاية التاريخ».

2

وعلى النقيض من ذلك، أشار ماركس وأنجلز بحزم منذُ فترة البيان الشيوعي، بأن الرأسمالية لا تُشكّل إلا فترة فاصِلة قصيرة في تاريخ البشرية. ومع ذلك، فإن نمط الإنتاج الرأسمالي في عصرهما لم يتعدى إنجلترا وبلجيكا وإقليم صغير في شمال فرنسا، أو الجزء الغربي من ويستفسليا البروسية. لم يوجد شيء مُماثل في مناطق أُخرى من أوروبا. وبالرغم من هذا، لقد تصوّر ماركس بالفعل أن الثورات الاشتراكية ستحدث في أوروبا "قريباً". وهذا التوقع واضح في كل سطر من البيان الشيوعي.

بطبيعة الحـال، لم يكن ماركس يعرف في أي بلد ستبدأ الثورة. هل ستكون انجلترا، البلد الوحيد المتقدم في الرأسمالية؟ كلا، ماركس لم يُفكر أن هذا كان مُمكناً إلا إذا حررت البروليتاريا الإنجليزية نفسها من دعمها لاستعمار ايرلندا؟ هل ستكون فرنسا، وهي أقل تقدماً من حيثُ تطورها الرأسمالي، ولكنها أكثر تقدماً من حيث النضج السياسي لشعبها، الذي ورثهُ عن ثورتها العظيمة؟ رُبما، وأثبتت كومونة باريس عام 1871 حدس ماركس. ولنفس السبب، توقع أنجلز الكثير من ألمانيا "المُتخلفة": الثورة البروليتارية والثورة البرجوازية يمكن أن تصطدمان هنا. وبهذا الصدد كتبا في البيان الشيوعي ما يلي:

أدار الشيوعيون انتباههم بشكل رئيسي إلى ألمانيا، لأن تلك البلد كانت على مشارف ثورة برجوازية التي من المؤكد أنها ستحدث في ظل ظروف أكثر تطوراً للحضارة الأوروبية وبروليتاريا أكثر تقدماً مما كانت عليه إنجلترا في القرن السابع عشر، وفي فرنسا في القرن الثامن عشر، ولأن الثورة البرجوازية في ألمانيا لن تكون إلا مُقدمة للثورة البروليتارية التالية مُباشرةً.

وهذا لم يحدث: إن الوحدة في ظل المحتال التاريخي العالمي (بسمارك Bismarck) لبروسيا الرجعية، والجُبن والواسطة السياسية للبرجوازية الألمانية سمحت للقومية بالانتصار وهمشت الثورة الشعبية. وقد حول ماركس نظره في أخر حياتهِ نحو روسيا، الذي توقع أن تتمكن من أن تأخذ طريقاً ثورياً، كما يشهد على ذلك مُراسلاته مع فيرا زاسوليتش Vera Zasulich.(الكاتبة المنشفية والمترجمة لأعمال كارل ماركس إلى اللغة الروسية).

وهكذا، لم يكن لدى ماركس الحدس بأن التحول الثوري بالإمكان أن يحدث من أطراف النظام – الحلقات الأضعف، حسب تعبير لينين لاحقاً. إلا أن ماركس لم يستخلص في زمنهِ كل الإستنتاجات التي فرضت نفسها في هذا الصدد. كان من الضروري الإنتظار حتى يتقدم التاريخ نحو القرن العشرين لكي يرى، مع لينين Lenin و ماوتسي تونغ Mao Zedong، الشيوعيين أصبحوا قادرين على تخيُّل ستراتيجية جديدة، مؤهلة لتكون "بناء للإشتراكية في بلد واحد." هذا تعبير غير مُناسب، الذي أفضل بدلاً عنهُ إعادة الصياغة الطويلة: التقدم غير المُتكافئ على الطريق الطويل للتحوّل الإشتراكي، المُؤتأنس في بعض البلدان، والذي تُناضل ضده استراتيجية الإمبريالية المُهيمنة بشكل مُستمر وتسعى لعزلهِ تماماً."

يطرح النقاش المُتعلق بالتحول التاريخي الطويل إلى الإشتراكية في اتجـاه الشيوعية، والنطاق العالمي لهذهِ الحركة سِلسلة من الأسئلة المتعلقة بتحول البروليتاريا من طبقة بحد ذاتها إلى طبقة لنفسها، وظروف وآثار عولمة الرأسمالية، وموقع الفلاحين في التحول الطويل، وتنوع تعبيرات الفكر المناهض للرأسمالية.

3

وفهم ماركس أكثر من أي شخص آخر أن لدى الرأسمالية مُهمة غزو العالم. وكتب عن هذا في وقت حين كان فيه هذا الغزو بعيداً عن الاكتمال. لقد اعتبر هذهِ المهمة مُنذُ نشأتها، اكتشاف الأمريكتين، الذي افتتح انتقال القرون الثلاثة من النزعة التجارية إلى الشكل النهائي الكامل للرأسمالية.

وكما كتب في البيان الشيوعي، "لقد أسست الصناعة الحديثة السوق العالمية، الذي مهد لها اكتشاف أميركا الطريق ... لقد أعطت البرجوازية من خلال استغلالها للسوق العالمية الإنتاج والاستهلاك طابعاً عالمياً في كل بلد.

لقد رحـب ماركس بهذهِ العولمة، الظاهِرة الجديدة في تاريخ البشرية. وتشهد لذلك العديد من الفقرات في البيان الشيوعي. على سبيل المِثال: "البرجوازية، كلما ما كانت لها اليد

يتبع

العُليا، وضعت حداً لجميع العلاقات الإقطاعية والأبوية والرعوية.“ بالإضافة إلى: لقد أخضعت البرجوازية الريف لسيطرة المُدُن ... ولهذا أنقذت جزء كبيراً من السُكان من إنعزالية الحياة الريفية. ومثلُ ما جعلت الريف يعتمد على المُدُن، كذلك جعلت الدول المتوحشة وشبه المُتوحشة تعتمد على الدول المُتمدنة، أوطان الفلاحين تعتمد على الأوطان البرجوازية، والشرق يعتمد على الغرب.“

الكلام واضح. لم يكن ماركس قط متمسكاً بالماضي، مُتحسراً على أيام الماضي السعيدة. كان يُعبر دائماً عن وجهة نظر حديثة، إلى الحد الذي يبدو وكأن نزعة التركيز على الذات الأوروبية تستحوذ عليه. وقد تعمق في هذا الاتجاه. ومع ذلك، لم تكن همجية العمل الحضري بمثابة تسفيه للبروليتاريين؟ لم يتجاهل ماركس الفقر في المناطق الحضرية الذي واكب التوسع الرأسمالي.

هل تمكن ماركس في البيان الشيوعي من قياس بشكل صحيح العواقب السياسية لتدمير الزراعة في أوروبا نفسها، بل وفي البُلدان المُستَعمَرة؟ أعود إلى هذه الأسئلة في علاقة مُباشِرة بالطابع غير المُتكافئ لنشر الرأسمالية على مستوى العالم.

ما زال ماركس وأنجلز، في البيان الشيوعي، على غير علم بأن نشر الرأسمالية في جميع أنحاء العالم ليس ذلك النشر المُتجانس الذي يتخيلانه، أي إعطاء الشرق المُستَعمَر فرصته للخروج من الطريق المسدود الذي وضعهُ تاريخهُ فيه، وأن يُصبح، مثل الدول الغربية، أُمَم ”مُتحضِرة“ أو دولاً صناعية. تُقدم بعض نصوص ماركس استعمار الهند في ضوء عزاء. ولكن ماركس غير رأيهُ فيما بعد. إن هذه التلميحات، بدلاً من أن تُشكّل حجة مُفصلة بشكل منهجي، تشهد على الآثار المُدمِرة للغزو الاستعماري. ويُصبح ماركس تدريجياً على وعي بما أسميه التنمية غير المُتكافئة، بتعبير آخر، البناء المنهجي للتناقض بين المراكز المُهيّمنة والأطراف المُهيمن عليها، وبهذا، إستحالة ”اللحاق“ ضمن هذا الإطار لعولمة الرأسمالية (إمبريالية بطبيعتها) بأدوات الرأسمالية.

في هذا الصدد، إذا كان من المُمكن ”اللحاق بالركب“ ضمن العولمة الرأسمالية، فلن تتمكن أية قوة سياسية أو اجتماعية أو أيديولوجية من مُعارضة ذلك بنجاح.

وفيما يتعلق بمسألة ”انفتاح الصين“ يقول ماركس في البيان الشيوعي بأن ”أسعار سِلعها الرخيصة هي المدفعية الثقيلة التي تُحارب بها جميع الأسوار الصينية، والتي تُجبر بها كراهية المُتوحشين المُتعنتة للأجانب على الإستسلام.

ونحنُ نعلم بأن هذه لم تَكُن طريقة عمل هذا الافتتاح: فقد كانت مدافع سلاح البحرية البريطانية هي التي ”فتحت“ الصين. كثيراً ما كانت المنتُجات الصينية أكثر تنافُسية من المنتُجات الغربية. كما أننا نعرفُ أيضاً أن الصناعة الإنجليزية الأكثر تطوراً ليست هي التي سمحت بالهيمنة الناجحة على الهند (وأيضاً، كانت نوعية النسيج الهندي أفضل من البريطاني). وعلى العكس من ذلك، كانت الهيمنة على الهند (والتدمير المُنظّم للمصانع الهندية) هي التي أعطت بريطانيا العُظمى وضعها المُهيّمن في النظام الرأسمالي العالمي في القرن التاسع عشر.

إلا أن الخبرة والتقدم في السن علما ماركس الشاب كيفية التخلي عن الأهتمام المُتمحور في أوروبا. عرف ماركس كيف يُغيّر وجهات نظره، في ضوء تطور العالم.

ولهذا، تَخيّل ماركس وأنجلز في عام 1848 الإمكانية القوية لثورة اشتراكية أو أكثر في أوروبا في عصرهُما، مُؤكدين على أن الرأسمالية لا تُمثّل إلا فترة فاصلة قصيرة فقط في التاريخ. وسرعان ما أثبتت الحقائق صحة تنبؤهُما. فكانت كومنة باريس في عام 1871 أول ثورة اشتراكية. إلا أنها أيضاً آخر ثورة قامت في بلد رأسمالي مُتطوّر. ومع تأسيس الأُممية الثانية، لم يفقد أنجلز الأمل في أحداث ثورية جديدة، في ألمانيا بصفة خاصة. لكن التاريخ أثبت خطأ أنجلز. إلا أن خيانة الأُممية الثانية في عام 1914 كان لا ينبغي أن تُفاجأ أي شخص. وإلى جانب الانجذاب الإصلاحي، فإن توحيد الأحزاب العُمالية في كل أوروبا في ذلك الزمن مع السياسة التوسعية والاستعمارية والإمبريالية لبرجوازيهم دل على أنهُ لم يكُن هناك الكثير مما يمكن توقعه من أحزاب الأُممية الثانية. فقد انتقل الخط الأمامي لتحوّل العالَم إلى جهة الشرق، إلى روسيا في عام 1917 من ثم إلى الصين. وبالتأكيد لم يتنبأ ماركس بهذا، ولكن كتاباته المُتأخرة سمحت لنا بالإفتراض أنهُ ربما لم يكُن ليَتفاجأ بالثورة الروسية.

وفيما يتعلق بالصين، اعتقد ماركس بأن الذي كان على جدول الأعمال ثورة برجوازية. في كانون الثاني/يناير 1850 كتب ماركس: ”حينما يصل أخيراً الرجعيين الأوروبيين لدينا إلى سور الصين العظيم ... من يدري إذا لم يجدوا مكتوب عليه الأسطورة: جمهورية الصين، حُرية، مُساواة، أخوة.“ كما أن الكومينتانغ لثورة 1911، Sun Yat–sen تخيّلوا هذه أيضاً، مثل جمهورية ماركس (البرجوازية) الصينية. إلا أن Sun Yat–sen لم يفلح لا في هزيمة قوى النظام القديم الذي تمكن قادته العسكريين من استعادة المناطق، ولا طرد هيمنة قوى الإمبريالية، خاصة اليابانية. لقد أكد انحراف قوى كومينتانغ التابعة شيانغ كاي شيك حِجج لينين و ماو بأنه لم يعد هناك مجال لثورة برجوازية حقيقية؛ عصرنا هو عصر الثورة الإشتراكية. ومثلما لم يكُن لثورة شُباط/فبراير لعام 1917 الروسية مُستقبل نظراً لأنها لم تتمكّن من الانتصار على النظام القديم، داعية لذلك إلى ثورة أُكتوبر، كذلك دعت ثورة عام 1911 الصينية إلى ثورة الشيوعيين الماويين، وهُما الثورتان الوحيدتان القادرتان على الإجابة على توقعات التحرير، الوطني والاجتماعي في وقت واحد.

وهكذا كانت روسيا هي ”الحلقة الضعيفة“ في النظام، التي بدأت الثورة الاشتراكية الثانية بعد كومونة باريس. ومع ذلك، لم يتم دعم ثورة أُكتوبر الروسية، وإنما خاضتها الحركة العُمالية الأوروبية. وبهذا الصدد استخدمت روزا لوكسيمبورغ تعابير قاسية لانحراف الحركات العُمالية الأوروبية. تحدثت عن فشل وخيانة تلك الحركات، وعن عدم نُضج البروليتاريا الألمانية لتقوم بمهامها التاريخية.“

لقد تناولت هذا الإنسحاب للطبقة العاملة في الغرب المُتقدم، حيثُ تخلت فيه عن تقاليدها الثورية، من خلال التأكيد على الآثار المُدمِرة للتوسع الإمبريالي للرأسمالية والمنافع التي تجنيها المجتمعات الإمبريالية بمجموعها (ليست بُرجوازيتها فقط) من مواقعها المُهيمنة. ولهذا فقد رأيت إنهُ من الضروري تكريس فصلاً كاملاً في قراءتي للأهمية العالمية لثورة أكتوبر لتحليل التطور الذي دفع الطبقة العاملة الأوروبية إلى التخلي عن مهامها التاريخية، حسب تعبير روزا لوكسيمبورغ. أُحيلُ القارئ إلى الفصل الرابع في كتابي ”ثورة أكتوبر 1917.

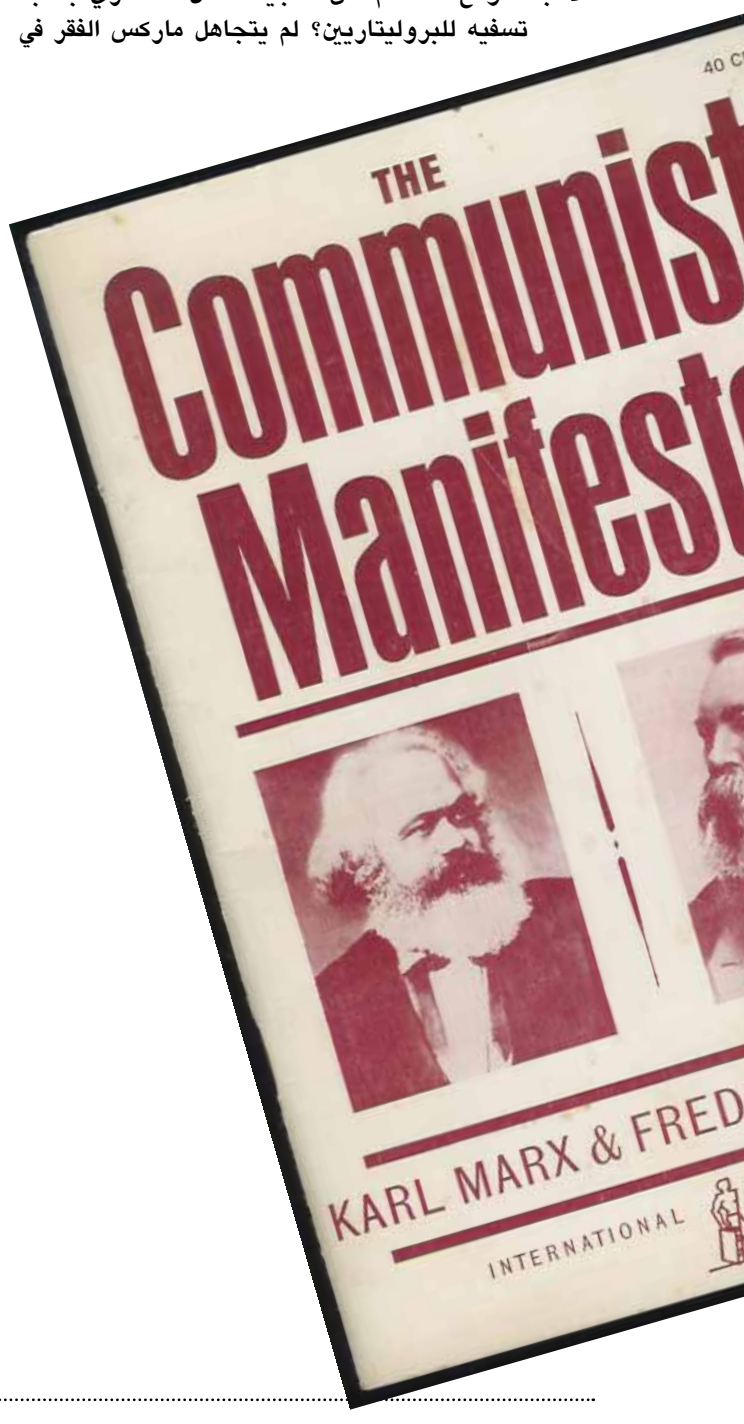

متى عرف الطغيان الحياة؟

يرتبط مصطلح الكفر في الغالب بالوقت الحالي تحديداً بمن يتراجع عن الدين الاسلامي، وتحديداً من الفرد الذي يكون غالباً مولوداً به، وليس مسلماً "مستجداً" أو أنه اختار الإسلام بديلاً عن دينه الأصلي. وقد يكون هذا الارتباط مبنياً على فتاوى واجتهادات التكفير التي طالت أشخاصاً معينين بسبب إعلان موقفهم من جزئية قد تتعارض مع آخرين يرتأون في أنفسهم وكلاء الدين الحقيقيين والغيورين عليه، فيحق لهم إلحاق تهم كبيرة بأضدادهم. وبينما تأخذ هذه التهمة تدرجات عدة في الدين – كما ينبغي لها – وكما يرى العلماء في منطق هذه الأمور عادة، فالكفر درجات. فهناك "كفر دون كفر"، أي بما يفسر بأنه كفر دون الخروج من الملة، وتكفير الفعل دون تكفير الفاعل، وأيضاً الضوابط التي على أساسها يقوم فعل التكفير، حيث إن له تبعاته.

زهراء المنصور

وطوِّع مصطلح التكفير لإقصاء الآخر تحت مظلة الإسلام، وحيث طبق هذا المعنى في فترة مبكرة منه، استمر مع تغير الزمان وثبات الدين الإسلامي في المنطقة. فكان هذا الإبعاد /الإقصاء لصالح الحكم، لذا كانت الفتوى حاضرة في خدمة رجل الدولة للتخلص من أعدائه ومعارضيه(1). ولأنه الدين الذي يؤمن المسلمون فيه أن الدنيا مرحلة مؤقتة تحضيراً للآخرة، وكل عمل في الدنيا هو في صالح الحسنات/ السيئات التي يجازى بها بالجنة أو بالنار حسب أعماله، سيكون من الطبيعي أن يحظى القائمون على هذا الدين ممن يفترض أن يصلوا باجتهادهم ودراستهم إلى مكانة دينية كبيرة تسمح لهم بتسيير أمور العامة.

ولو استطعنا حصر بعض أشكال التكفير ورفض الآخـر في مجتمعنا، فلا بد أن يوصلنا هذا إلى سبب/ أسباب تكفير البعض حدا يتخطى المألوف من الدين، إلى الأعراف المجتمعية مثلاً المتعلقة بقناعات راسخة عمرها عشرات السنين وربما أكثر. في قضية اللون المختلف أو المذهب المغاير، أو غيرها عند غلاة التكفير، وهم من وجهة نظري الشخصية ينقسمون إلى نوعين: نوع نشأ وترعرع على هذه المفاهيم وآمن بشدة بما تلقنه من علوم ومفاهيم أسرية/ مجتمعية أنها الثوابت التي تحكم الكون ولا يمكن أن تتغير، خاصة إذا كانت في صالح وضعه الاجتماعي. أما النوع الآخر فهم من فئة الدينيين الذين أخذوا على عاتقهم استخدام الدين كذريعة لمآرب شخصية على مقاسات مختلفة تحتمل المواقف المتغيرة، ويمكن أن ينتمي هؤلاء– بحسب درجتهم الدينية و"المرونة" في تكييف الشرع لصالح ولي الأمر – كما أطلق عليهم علي الوردي في وقت سابق طويل مضى "وعاظ السلاطين"، وكأنه يستشرف المستقبل بما سيتفاقم عليه الوضع، كما هو الآن.

ولأن الفئتين تلحان على وتر الطاعة العمياء والتنفيذ بأمر الدين، فالكل ينفذ حسب مرجعيته الدينية للولي أو الشيخ، وما عدا ذلك سيكون مخالفاً وربما مرتداً، وربما تلصق به صفة "العلمانية" بوصفها مصطلحاً مرادفاً للكفر!!

ولا يخفى على أحد التفسيرات المختلفة للقرآن الكريم، والتي قد تتباعد بشكل كبير بين الطرفين، بشكل يوحي أن هناك أكثر من كتاب مقدس للمسلمين، وسبب ذلك: التأويلات التي تجر المعنى لصالح أحدهما، فيستند عليه ويؤيده تعزيزاً لمكانته الاجتماعية/ الدينية التي يبني عليها أكثر من منفعة عابرة، وهو ما يسمى عند البعض باجتزاء النصوص الظاهرية. وهذا نجده في موقف الشيخ سعيد الغبرا من الفن بشكل عام والمسرح بشكل خاص، فقد ذهب لإسطنبول من أجل تحريض السلطة الدينية المتمثلة بالسلطان عبدالحميد مناهضا تجربة القباني (1833–1903)، وذهب بنفسه إلى السلطان لإيقاف ما وصفه بـ"الفسق والفجور"، فـ"هتكت الأعراض وماتت الفضيلة ووئد الشرف واختلط النساء بالرجال" (2). وأدى تحريضه هذا إلى حرق مسرح القباني ومغادرة الأخير من دمشق إلى مصر. وليس الغبرا إلا نموذجاً للعقلية الدينية الرجعية التي تقيس بمعيارها وتعمم. فيما يرى سعد الله ونوس أسباب هذه الحملة على القباني هو ظهور شخصية هارون الرشيد على المسرح، وهذا مدعاة للتفكير في إجهاض فكرة ثورة التغيير الاجتماعي آنذاك. (3). وهاهو الغبرا يأخذ أشكالاً مختلفة منذ ذاك الحين وحتى وقتنا هذا.

فإن كان كتاب الله مختلفاً تأويله في بعض الآيات التي يعتقدها أصحاب المذاهب سبباً مجدياً للخلاف «الجوهري» وسبباً وجيهاً للفرقة والقربة إلى الله بوصفهم "الفرقة" الناجية الموصوفة، فهم المصطفون من الله، وكل من لا يشبههم مقصيون/ مُبعدون، مما يصنع "هوية نرجسية استثنائية"، ومن شأن هذه الهوية المغلقة على ثوابتها ومحرماتها أن تقولب العقول لتصنع النموذج الأول للسلف الجامد بالمعنى السلبي، أي لا يتقبل التجديد المنطقي، لذلك خضعت أحكام عصرية لتغيير في القرار الذي حولته السلطة الدينية إلى قرار جمعي بمنطق التحريم، وسرعان ما تغير للعكس بفعل النظام الزمني والتغير الاجتماعي الكفيلين بتغيير الكثير من الفتاوى التي في مجملها محاربة وقلقة من الجديد القادم، ومحاولة لتضييق كل ما يمكن أن يفتح أفقاً أوسع للناس. فالتحريم الذي يجعل من الفتاوى وسيلة سهلة لإنهاء الجدال في موضوع ما، وإحكام السيطرة، يكشفه الزمن، ولنا في فتاوى تحريم: مدارس البنات/ كرةالقدم/ عباءة الكتف/ التصفيق!!/ مكبرات الصوت/ التصوير/ وليس انتهاء بتناول الطعام بالملعقة! (4)

وبناء على ما تقدّم من التعريف بمصطلحات الكفر والتكفير، لابد لنا من التعرف على المفاهيم الأخرى المترتبة على هذا منح اللقب، الذي يكاد أن يصبح "مجانياً" ومتاحاً لكل من لديه سلطة دينية، وربما غير ذلك، إطلاق هذه التهمة التي تحمل من التبعات ما لا يحتمل في بلادنا العربية. لذلك نرجع إلى الدين وتطبيقه كما ينبغي له، والتمسك بالأحكام التي قد تعني جوراً لآخرين يعيشون بنفس المجتمع ويخضعون لذات الأحكام التي تحكم المجتمع لسبب مقدر له لا خيار له فيه. فالمساواة لا تعني العدل دائماً، في الوقت الذي تدفع الأديان إلى مفهوم "الرضا" عن الرزق المرتبط بالنعم من الله/ الرب عز وجل، وضرورة الحمد والشكر لتدوم النعم، وتقديراً لنعم الله علينا.

لذلك فإن من الأمور الشائكة التي تثير الحيرة في الحياة الواقعية وعلى خشبة المسرح، التعرض للون الأسود المرتبط بالسلالات الزنجية، ومصدرها بعض مناطق القارة الأفريقية، على أساس أنه الطبقة الأقل المرتبطة بالعبيد والخدم والطبقة الوضيعة في المجتمع – كل مجتمع – فلا يرتبط هذا المفهوم عند العرب أو المسلمين، بل إنه يطال الغرب الذين تحرروا من الفوهة الضيقة بالنظر إليهم كملونين حتى 1862، كما أعلنها لينكولن وقتها. وعلى الرغم من القوانين التي تشرع الحق لكل مواطن بإنسانيته، تظل القوانين الشفهية – المجتمعية – هي الأقوى، وتستند غالباً على "جينات" التعامل مع أصحاب البشرة المختلفة، على تعامل من سبقوهم معهم. وقد تكون شخصية "عطيل" هي الأشهر أيقونياً عن صورة الأسود في المسرح، كالشجاعة والإقدام والبطولة، لكنها تذبل وتذوي لمجرد أنه من أصول مغربية وبشرته المختلفة، وهذا بحد ذاته سبب يكفي لازدرائه وإقصائه.

كذلك هي صورة الأسود في المسرح البحريني/ الخليجي التي تظهر فيها العبد الذي يسعى لنيل حريته في وقت الاستعمار، كما في مسرحية "مجاريح" من تأليف إسماعيل عبدالله واخراج ناصر عبدالرضا، ونرى فيها الممثل عبدالله سويد في حركة ملفتة توثق ليحصل على الصك الذي يحرره من واقعه، مع إقران ذلك بزمن المسرحية؛ بوقت الاستعمار وزمن الغوص واللؤلؤ. وفي سياق آخر، أظهرت رواية الكاتب البحريني الراحل خالد البسام (ثمن الملح) والمستمدة من وثائق

التقارير الإنجليزية، التي عثر عليها في مكتب الهند بالمكتبة البريطانية في لندن، حول العبيد وأوضاعهم في الخليج. وكذلك كتاب "تجارة الرقيق في الشرق الأوسط" تأليف سين أوكلاغان، عن حياة "العبيد" في المجتمع البحريني، وعن طموحهم بالتحرر الذي يقود أو يؤكد نفس سياق عرض "مجاريح"، صك الاستعمار بالحرية، والذي يهدف قطعاً لمآرب أخرى تهدف إلى ترسيخ العرف والطبقية بحكم اللون في أبشع أشكالهما، دون أن يكون أكرمهم عند الله «أتقاهم» كما في القيم الإسلامية الأصيلة، ودون أن يكون البطل كما في «مجاريح» يمثل معاناة لونه، لا يحظى الممثلون ذوو البشرة السمراء/ السوداء غالباً إلا بأدوار توظف لونهم لخلق كوميديا. أليس هذا تكفيراً للآخرين وجحدهم حقوقهم؟

وكما يعد اللون/ العبودية قالباً مغايراً عن الأغلبية المسيطرة، فحق لها أن تعامله بمغايرة أيضاً، يأتي الاختلاف/ الإنكار/ التكفير/ لأشخاص آخرين من نفس نسيج هذا المجتمع، وليس من الغرب الذين يطلق عليهم عامة الناس من الجهل والتصغير أنهم ببساطة «كفرة»! تأتي هذه الصفة للمختلفين في الدين/ المذهب، تأتي واضحة في الطبقة الاجتماعية التي أوردتها المجتمعات ذات الثراء البترولي، والتي حصدت مستواها الحالي بلا تدرج، وبشكل سريع، من النقيض للنقيض، مما عزز مفهوم الطبقية بشكله الفاحش غير المقبول لاعتبارات الثروة وما يليها من تبعات. أيضاً، من أشكال التكفير: القبليّة المتعصبة، كعادة العرب في الجاهلية في التفاخر المرعب بما فعله السلف وما ملكوه، وما تمتلكه الأجيال اللاحقة التي تتوارث التفاخر وحفظ الماضي، بلا فهم واعٍ لما اعتادوا أن يسمعوه ممن قبلهم. وهنا نسأل كيف اشتعلتْ فتنة التكفير؟

وفي الوقت الذي تصنف فيه أشكال التكفير السابقة تحت سقف عرف المجتمع وتقاليده، يشتغل هذا المصطلح بشكل واضح في التقسيم الديني والمذهبي تحديداً، الذي يجعل من تصنيف الهويات حسب الأسماء/ المناطق/ اللهجات أمراً محسوماً بمعنى الـ/مع والـ/ضد، ولكل ذريعته المبررة بالحرص على مظاهر الدين الإسلامي الذي تمثله طائفته بوصفها الطائفة «المختارة»، وفي المضمون أسباب أخرى غالباً ما تكون تأجيجاً سياسياً وتجييشاً دينياً يؤيده.. فكيف بدأ فتيل الفتنة؟

كل شيء لم يكن على ما يرام تماماً، وحتى لا ننطلق بصورة مثالية مبالغ فيها، كما في نشرات الأخبار الجامدة والتقارير المعلبة، كان هناك رفض/ إنكار للآخر (تكفير)، لكنه قطعاً كان في تواقيت تاريخية معينة لها مقاصدها. فعلى سبيل المثال: تعرض اليهود البحرينيون إلى مضايقات أدت إلى رحيل أفراد منهم إلى خارج البلد، لأسباب متعددة مرتبطة بالهزيمة في 1967. وأيضاً في قضية الطائفية التي تثار منذ سنوات طويلة، والتي عمل الاستعمار على تأجيجها عملاً بسياسة (فرِّق تسُد)، والتي تستمد من مذكرات المستشار بلجريف بعضاً منها، وليشهد التاريخ على أن هؤلاء الناس لم يكن الخلاف المذهبي يوماً بينهم، فليسوا منزهين عن صفات إنسانية سلبية، لكن المناطق المشتركة تشهد أن الخلافات الشكلية التي حدثت كانت لأسباب بعيدة، فيما حشر «الاختلاف» ليكون ذريعة كافية لإذكاء الفتنة ليس إلا.

ومن الأمور التي تحيلنا إليها القضايا المذهبية مسرحياً أيضاً، المسرح الحسيني/ الكربلائي الذي يقوم على مسرحة التعازي الحسينية، من بعد واقعة "الطف" والتي يقيمها المسلمون من الطائفة الشيعية في موسم شهري محرم وصفر من كل سنة، عبر المجالس التي تتم فيها قراءة الواقعة حسب الروايات والكتب، وهذا الشكل المستمر أدى إلى تفتق فكرة تجسيد الأحداث عبر الشكل المسرحي الحالي، مع الأخذ بالاعتبار أن العقلية الإسلامية حسمت موضوع الصراع وحرية التفكير بالشكل الذي عرف به المسرح الإغريقي (5)، لذلك فإن الفكرة في أنه إن غاب الصراع فإن الدراما ستغيب تلقائياً، فلا دراما بلا صراع، الذي يعرفه الباحث شرجي "أنها قضية محسومة ربانياً في العقلية الإسلامية، هذه العقلية لم تستسغ فكرة الصراع، فقاد هذا إلى التخلي عن فكرة المسرح" (6).

لذلك استمرت هذه الطائفة الشيعية بتقديم هذا الشكل الدرامي/ المسرحي لهذا الطقس الديني، مع مزج هذه العروض بما يتوافق عليه من مضامين سياسة أو اجتماعية، فتصنع منه شكلاً تراه الطائفة الأخرى متعارضاً مع مفهوم الأشياء لدى الطائفتين! كأن الكتاب المقدس لدى المسلمين قد نزل في نسختين لا تتشابهان ولن تتفقا! وكأن بالتاريخ المستمد من كتب تراثية واستقطاع النصوص التي تتكيف ومقاسات الطرفين ورواياتهم هي اليقين بذاته، دون التعرض لتحليل عقلاني أو التفكير فيما يوحد الكلمة، انتصاراً لما جبل عليه كل طرف بأنه الفرقة "المختارة"، كما يشير المفكر البحريني محمد جابر الأنصاري أنه "ليس من طريق للتجديد إلا تمثل الفكر الإنساني قديمه وجديده، والاطلاع عليه بتعمق، مع دراسة مختلف تيارات التراث الإسلامي دراسة نقدية، وعدم الانحياز لتيار فيه ضد آخر. فلن يتم إحياء للتراث بتقطيع أوصاله وبتر أعضائه، فإما أن نحييه بحقيقته الكاملة القابلة للنقد، وإلا فدعوة إحياء التراث لن تحقق هدفها الحضاري..".

وما عدا هذا المنطق فلن نتقدم خطوة إلى الأمام ونحن نفضل بعضنا بالتمايز فيما لا فضل لنا فيه، ونستميت من أجل الدفاع عنه! وهنا نسأل: هل نحن طغاة؟ طائفيون؟ أم تكفيريون؟؟!!

الهوامش

علي أحمد الديري، نصوص متوحشة: التكفير من أرثوذكسية السلاجقة إلى سلفية ابن تيمية، مركز أوال للدراسات والتوثيق، بيروت، الطبعة الأولى 2015. ص 23

أحمد شرجي، المسرح العربي من الاستعارة إلى التقليد، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2013، ص 60

نفس المصدر السابق، ص 60

من تقرير مصور عرض في نشرة التاسعة على قناة MBC.

أحمد شرجي، المسرح العربي من الاستعارة للتقليد، مصدر سابق ص 47

نفس المصدر السابق، ص 55

لذكرى استشهاد سعيد العويناتي

كلمـــات عـــن ديـــوانـــه الـــوحيـــد

«إليـك إيهـا الـوطـن.. إليـكِ أيتهـا الحبيبـة»

كان شاعر جاهلي قد كفّ عن قول الشعر، إلى أن دخلت قبيلته حرباً خرجت منها ظافرة، عندئذ خرج الشاعر عن صمته الطويل وتفاخر بظفر قبيلته، يومها قالت القبيلة: «إن الظفر هو في عودة شاعرنا إلى القول.. وليس في الحرب ذاتها..».

متى بدأت القبائل تقتل شعراءها، وأية حنجرة ذبيحة تؤرخ لميلاد هذا الخيط الذي انتظم مسبحة من الشعراء لم يلتئم طرفاها بعد، منذ كانت الدولة –السلطة– والشعر، هذه المهنة المريبة العصية على التدجين، تعذب أصحابها وتقيم في الجهة الأخرى، متشبثة بالمسافة بين المعطى والحلم، بين القيثارة والعصار، حتى هؤلاء الذين احترفوا المديح ومقايضة «نعم» بألف درهم، كانوا أيضاً في الجهة الأخرى رائين أنفسهم وقد سكنت في المرتفع السلطوي الممدوح الذي يجسده ويرمز إليه في وقت واحد الحاكم.

خيري منصور

لعل الواقع نفسه، هذا الشط الأزلي لنشاط الإنسان حتى وهو يصعد حد الإبداع، ظلّ ضاغطاً بقدر ما هو محفز، وظلت له على الدوام جاذبية تشد القدمين إلى صلابته وحضوره الفج.

نحن هنا بصدد مناسبة تحدث كل يوم في زماننا ووطننا.. لكن مقنعة بمظاهر مختلفة: قتل شاعر عربي شاب من البحرين، يندفتع بحماس نحو البداية، باحثاً عن ملامح له كشاعر، وعن شمس لظلام زمانه، قتلته السلطة.. وألقت بجثته على عتبة أمه، هنا لا مجاز، السلطة تقتل شاعراً، وتكتفي صحيفة أو اثنتان بإيراد النبأ في سطور لا تنافس أقل الإعلانات شأناً وحيزاً.

قُتل «كرماني» الشاعر لكونه لم يرد بأن السلطان يساوي أكثر من بضعة دراهم هي ثمن حزامه، وتقل شاعر الأسطورة البابلية لأنه قال للسيد: أنت أيضاً تموت وفان كالبشر.

... وسعيد العويناتي، هذا الشاعر البحراني الشاب، قتل لأنه بلغ وحاول الشهادة. إذن فالحقيقة الأولى التي تجذبنا إليها بعنف قبل أن نقول أي شيء عن الشاعر هي: أن الحاكم لا يتورع عن قتل الشاعر حين يجد أن لكلمته صدى، وأنه يشارك في الاشتباك حيث لم يعد أحد من الأطراف يدخر شيئاً.

الكتابة عن شاعر «مقتول» تغري بالذهاب بعيداً عن شعره باتجاه الرثاء، وتغري أيضاً بقتله مرة أخرى –شاعراً– حين تجعل من مصيره الجسدي محورها الوحيد، علينا في البدء أن نشير إلى ملاحظتين حول هذا الشاعر:

أنه أحد الشعراء الشباب في الوطن العربي، لم يصدر سوى مجموعة شعرية واحدة «إليك أيها الوطن.. إليكِ أيتها الحبيبة» لهذا فالانتباه سيكون له كشاعر ذي إنجاز محدود.

إنه شاعر قضية، يقتحم المعادلة الصعبة طرياً، وقد لا يتاح لمن في سنه أن يبلغ العام الأقصى من خلال «خاصه» الأشد حميمية.

البحرين، هذه الأرض العربية الصغيرة، هذا الوطن المائي الذي شهد بـ «دلمونه» –القصية في التاريخ– جنة أرضية، غدت في زماننا حتى النخلات فيه قبيحة بعبارة الشاعر نفسه، وسعيد العويناتي واحد من مجموعة من شعراء بحرانيين كانو الأكثر انهماكاً واستغراقاً في معركة شعبهم، منذ سمعنا عنهم للمرة الأولى، وحتى اليوم، كان السجن توأم اسمائهم يخرجون منه ليدخلوه ثانية، لكأنما قدر لهؤلاء الشعراء أن يتبادلوا العناوين على جدران زنزانة، يودعون عدواً ليأتي عدو أشد شراسة وفتكاً، فالرهان لم يكن سهلاً بأية حال، والخسارة قد تؤدي بالوطن كله، كل ذلك وهم محرومون من نعمة أعلام العرب حتى هم يموتون مضرجين بقصائدهم.

شاعرنا من جيل لاحق لجيل قاسم حداد وعلي خليفة وغيرهم من الشعراء الذي أتيح للقاريء العربي أن يتعرف إليهم من خلال أعمالهم الصادرة خارج البحرين، لهذا لا يبدو غريباً تأثره بشعراء الجيل الأسبق، إنه يشاركهم في العديد من الظاهرات الفنية.

منذ العنوان «إليك أيها الوطن.. إليكِ أيتها الحبيبة» يضع العويناتي قارئه إزاء الثنائي المتجسد أو الذي يطمح إلى ذلك في الشعر: الأرض والحبيبة، وتلك مسألة يقال حولها الكثير(1).

«زويا»، أولى قصائد المجموعة، هي طفلة أحد الرجال الذين سافروا تواً، في القصيدة تتخطى «زويا» وضعها كمجرد طفة شهيد لتصبح رمزاً يذكرنا «بطفول» الشهيدة والقصيدة لدى قاسم حداد، الشاعر يرى من خلال «زويـا» أطفال الشهداء الآخرين في الماضي وفي الحاضر، ورغم أن هذه القصيدة من الناحية الفنية لا تحقق تجاوزاً ملحوظاً للنماذج المبكرة في الشعر العربي الحديث، إلا أنها تتوفر على حد من التماسك والقدرة على الإيصال، وتوحي بأكثر مما تحقق من الشروط الفنية. إن اختيار الشاعر لهذا البحر (الرمل)، وهو أكثر بحور الشعر العربي غنائية واستدعاء للروابط وأدوات الوصل، ربما كان هو السبب في تحدر القصيدة وأفقيتها الغنائية. نلاحظ أيضاً بعض التجاوزات «النحوية» بهدف استواء الوزن كنصب المضارع (ص6).

وفي هذه القصيدة يعثر القاريء على تلميح مبكر لرؤيا تؤمن بالإنسان، رؤيا تبصر «دلمون» المبتغاة وليس تلك الغابرة المتخطاة.

«أنت يا واسعة الأحداق في الغد
سينمو حقل موسيقى ومليون كتاب
وسيغدو الشارع المهجور إيقاعاً أليف
ومياه البحر إذ تغدو حقولاً وسنابل
سوف ترقص
مثل أمواج الخليج
وسنغدو أنبياء».

هنا نجد خروجًا عن النطاق الفرداني الضيق نحو «نحن» ممكنة تتحقق حين تتحقق أماني الشاعر التي أعرب عنها في القصيدة.. الأشياء كلها تبدل إيقاعها وتصبح أكثر انعتاقاً واعتاقاً كصدى الفعل البشري، أما النبوءة فتأخذ معنى بشرياً يشارك فيه الجميع.

في هذا النمط من القصائد يتهدد الشاعر خطران على الأقل: الوقوع في شرك الهجائية المباشرة، والمبالغة في التصدي للحدث.

يقول الشاعر: «ودعي الحزن على قارعة الباب يموت».

شاعرنا اقترب من الوقوع في الاحتمال – الخطر الثاني، وهو المبالغة في التصدي لمصدر أساسي للحزن هو الموت نفسه، صحيح أن الموت هنا ليس «مجانياً» أو حادثاً بالصدفة، وقد يكون للشاعر أن يرى فيه ولادة؛ وهو المنغمر في حياة تبدل قشرها كل يوم في حمى المعركة نفسها.. لكن سيكون أضعف قصيدته من الناحية الفنية بافتقارها إلى العنصر الدرامي يمنحها حركة وحياة، ويشحنها بعاطفة نبيلة كالحزن.

«التفتيش».. قصيدة يجد قارئها تفاوتاً ملحوظاً بينها وبين «زويا»، هنا الشاعر أكثر التفاتاً للتفاصيل، وأكثر عناية بالعنصر الشعري في عملية السرد، إضافة إلى أن هذه القصيدة تشهد بصورة – شبه توثيقية – على واقع متعين:

«في تمام العاشرة
دخل الجند الحديقة
فتشوا عن بقعة الضوء ولكن الحقيقة
وقفت كل أزاهير الحديقة
وقفت كل العصافير الصغيرة
وقف الماء ونور القمر الطالع وحشياً وقالوا
وقف الجندي في الحال واقعي
مثل من يسرق ضحكات الطفولة

لدى الشاعر الرومانسي – بالمعني التاريخي – غالباً ما تصبح عناصر الطبيعة انعكاساً لمزاج خاص، ترتدي لون اللحظة وتخلعه، في هذا الاسقاط الانفعالي على العالم وأشيائه المحايدة تأخذ الرخاوة العاطفية مداها..

هنا أيضاً نجد إسقاطاً انفعالياً على الطبيعة.. لكن من منظور مختلف، الجندي، الذي جند أصلاً لأي شيء غير مهنته الأصلية،

إنه شاعر قضية، يقتحم المعادلة الصعبة، وقد لا يتاح لمن في سنه أن يبلغ العام الأقصى من خلال «خاصه» الأشد حميمية.

يقتحم الحديقة مفزعاً طيورها وشجرها وسماءها، فهو يدخل مدججاً بالكراهية العمياء وبمحصول الوعي الزائف الذي تحقنه به السلطة يومياً، ويدخل باحثاً عن مصادر الضوء: الكتاب والمجلة الحرة، والقصيدة الشاهد، وقبل هذا كله عن الإنساتن نفسه بتهمة وعيه لذاته، لوطنه وللتاريخ. الجندي، في هذه الحالة، يصبح رمزاً لعداء الحياة وقهرها، لذا من الطبيعي أن تنهض الحياة للدفاع عن ديموتها، وما الأزهار والطير والريح.. سوى «رموز» هي الأخرى لفكرة الحياة.

يلاحظ القارئ أن الجندي لا الشرطي هو المقتحم في هذه القصيدة. وتلك المسألة بالغة الدلالة، إنها تحرم الجندي من شرف مهنته ومن مبررها، تفرغه من الإنساني وتملأه كراهية.

في المقطع الثاني من القصيدة يكون «عبدالله» مستغرقاً في سماع أغنية عن فلسطين تستذكر بكلماتها أيامها الأليفة، وتلك تهمة تضاف إلى عبدالله.. يبعثر الجندي المكتبة ويثير بكار أهل البيت، ويوقط الأطفال من النوم والأمان.. يجري هذا كله فيما القمر يستفسر عن سر ذلك الملثم، وأخيراً تسقط اللوحة التي دوّن عليها «العدل أساس الملك».

لسنا بأية حال مع تنقية الشعر بحثا عن عناصر النثر منه، وإنما يدفعنا إلى ذلك أحياناً صعوبة إيراد النص كاملاً حيث لا يتسع المجال.. ومن ناحية أخرى كون هذا الشاعر غير معروف على نطاق واسع من القراء العرب، ومجموعته الوحيدة طبعت وصدرت في البحرين، لهذا نجدنا مسوقين أحياناً لهذا النهج بهدف إيجاد أرض مشتركة مع القاريء.

ولا تفوتنا هنا ملاحظة من الناحية الفنية سبق وأشرنا إليها في قصيدة سابقة هي إضعاف المعنى والإيحاء، بسبب الوقوع في ضرورات الوزن.. فالجندي يصبح مثل من يسرق ضحكات الطفولة.. هذا التشبيه يضعف المعنى، لأن سياق القصيدة كله يقول بأن الجندي – من هذا النوع – لا يتورع عن فعل أي شيء، أو انتهاك أية حرمة.

تتميز قصيدة: «أرد الماء مرتعشاً» بملمحين:

تضاؤل الحذر اللغوي والميل إلى المغامرة، يعين الشاعر على ذلك طبيعة البحر (الخيب) وإيقاعه السريع.

الإلحاح على القافية، وقد يستدعي هذا الإلحاح نعوتاً غير موظفة وليست بذات مكسب تعبيري، مثلاً:

يا من كنت بلا مأوى
خذا هذا قلبي مأوى يؤويك

أن «يؤويك» هذه تأتي لموازاة «يحميك» قبلها وهي كانت متضمنة وموحى بها في كلمة «مأوى».. تشير هذه القصيدة، بشكل غير مباشر، إلى المفارقة التي لا تخلو عن سخرية بين حال خليفتنا اليوم وخليفتنا البعيد:

«يا رجلاً من بلدتنا
إني أقرأ في عينيك بلادي
وتواريخ مدينتنا
وسماء الزمن الأول
مذ كان خليفتنا لا يملك إلا زاد طريقه..»

تواجهنا قصيدة «دعوة للحلم في زمن القهر» بظاهرة فنية سادت فترة في شعرنا الحديث – الخمسينات بشكل خاص – هي التكرار بهدف توكيد عاطفة ما أو فكرة ما.. أو بهدف توظيف التكرار فنياً ضمن سياق شعري متكامل، وثمة هدف ثالث قد يغيب عن وعي الشاعر نفسه هو أن التكرار إذا جاء «مجانياً» فهو يأتي بمثابة متكات وزنية أو ملئاً لمساحات فارغة يقتضيها الوزن والقافية. في هذه القصيدة تتكرر (لك) قرابة عشرين مرة في مطلع السطور العشرين الأولى، مما يجعلنا نلحق هذا النوع من التكرار بالفئة الثالثة (المتكات).

قصيدة «مطاردة» تنتمي إلى الهم الذي رأيناه في «التفتيش» وإن كان الهاجس، هاجس الملاحقة، يصبح أكثر حدة في المطاردة، فهناك الجندي محدد المعالم، واضح الغرض والأداة.. أما هنا فالمطاردة – بكسر الراء –:

«يتعقبني شبح أسود
يتلفت من حولي
في عينيه ظلام
والرئتان سموم
والعقل ملفات مرصوصة
يتعقبني ذئب في الأسواق وفي ساعات الصبح
وفي الطرقات..».

في «التفتيش» كانت الملاحقة حالة.. وهنا أصبحت مناخاً عاماً، الجندي ينتشر كالقمل أو الوباء، والمتعرضون للمطاردة ليسوا الأبرياء فقط أو الحالمين بعالم أجمل.. فالأنهار تطارد بتهمة الماء.. والعشاق بتهمة العشق..

وتنتهي القصيدة بتفاؤل معبر عنه بنثرية:

هل تدرون، الشبح الأسود
سوف يموت
إني أعلم
إني أعلم

ونحن في غنى عن القول بأن هذه المباشرة أفقدت الإيحاء الذي أفعمت به مقدمة القصيدة.

الجنة ونقيضها، فكرتان بشريتان عن واقعين.. أحدهما متخيل أبداً وموجود هناك في الضفة الأخرى، «دلمون، أو البحرين القديمة» كما تقول كتب التاريخ شهدت المتخيل واقعاً يتراءى ويلمس، يلتفت الشاعر في قصيدته «انتهاء عصر النخيل» إلى المسافة الشاقة.. بين دلمون ودلمون.. بين رمز الأخضرار والخصبق والأعراس.. وبين رمز الجدب والموت والمراثي:

أيها النخل الخرافي استفق
قد غدونا غرباء
وغداً البحر شقاء
وغداً العالم في أعيننا محض التقاء

لا أظن أن الشاعر ينظر إلى «دلمون» كفردوس سليب يطمح إلى استعادته، «دلمون» مضت حيث كانت، لكنها أرسلت فكرتها وصورتها في الذاكرة البشرية، من هذه الناحية تقصر القصيدة عن بلوغ ذلك «المنحنى» الذي تأخذ فيه المفارقة بين الزمنين تعبيراً شعرياً أو تصعيداً شعرياً بمعنى أدق.

تنفرد قصيدة «اللقاء الأخير» وهي مهداة إلى العامل «ع»، وإلى حد ما «لحظة تأمل في الذاكرة» باهتمامهما ببعض التفاصيل الصغيرة، مادة الشعر بامتياز، حيث تأخذ التجربة شكلها ولا تبدد في التقرير.. النتائج. يقول في القصيدة الأولى:

صباحاً وعند العشية
تلقيته مبعداً في عويناته
حفنة من حكايا الطفولة
وجرح ينز ووجه كورد الصباح المقيد
وفي «لحظة تأمل في الذاكرة».
في هدأة الليل
كنا معاً نحتسي قهوة العيد
كنا معاً والمرايا بلاد نهاجر فيها
ونصحو معاً.. هذه الأرض حلم
يباغتنا في المنام ونصحو لنقرأ أحزاننا
هل تذكرت، كنا نغامر ليلاً
ونعرى معاً في المحطات..

هذه الحميمية في نقل التجربة – بعض التجربة – تفتقدها معظم قصائد الشاعر الأخرى، ويلوح لي أنه بلغها في مرحلة أكثر نضجاً وكان سيحقق فيها نجاحاً لو أتيحت له الحياة.

في هاتين القصيدتين وقليل غيرهما، أجد أن الشاعر أخذ يتمثل خبرات شعرية بدلاً من تأثره المباشر بجيل أسبق من الشعراء (قاسم حداد بوجه خاص).

وأخيراً، هذه قراءة حائرة حذرة يقاطعها الموت مبكراً بسيف لامع الهوية، لمجموعة شعرية وحيدة أصدرها الشاعر ومضى وهو لما يزل (يدوزن) آلته، لن يتاح له إذن أن يفيد من هذه القراءة النقدية.. ولن يكون بمقدوره حتى الاعتراض على بعض الملاحظات.. إنها قراءة تخفق في تقنيع خجلها من الحرية المتاحة.

تبقى كلمة: هي أن سعيد العويناتي كشاعر ممكن وكمواطن جدير بحلمه، يظل يبحث له عن رصيف في ذاكرة القراءة المأهولة بالأحياء، والأحياء جداً، من الشعراء المؤمنين على حيواتهم بينما الكثيرون منهم، قتلى يخافون الدفن ويخشون السهر وحيدين في القبور.

«إليك أيها الوطن.. إليك أينتها الحبيبة» كتاب شعري مهما قيل فيه فهو ساهم على الأقل في قتل صاحبه، باعتباره شهادات عن أشواق شعب يتعذب ويجابه ليله وجلاديه.

---

1 خيري منصور: «الدم الثاني» نقد ديوان قاسم حداد – مجلة «الأقلام» بغداد، العدد الثامن، 1979.

* هذا المقال للشاعر والكاتب الفلسطيني الراحل خيري منصور نش أول مرة في مجلة (الطريق) اللبنانية – عدد فبراير (شباط) 1980، وأعادت مجلة «الفجر» الصادرة عن جبهة التحرير الوطني البحرانية نشره في عددها رقم 72 الصادر في يناير 1988.

الفعل والقتل

من إصدار الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ومنشورات مؤسسة بيسان للصحافة والنشر في نيقوسيا، صدرت في العام ١٩٨٦ الطبعة الثانية من ديوان الشاعر الشهيد سعيد العوناتي: (إليك أيها الوطن.. إليكِ أيتها الحبيبة).

الطبعة الأولى من الديوان التي أعدّها الشاعر نفسه للنشر، صدرت عن دار الغد في البحرين عام ١٩٧٦، وقبل شهور قليلة من استشهاده. أما الطبعة الجديدة التي صدرت بعد عشر سنوات من استشهاده تحت التعذيب، فقد صدرت بغلاف جديد ورسومات داخلية للفنان حسني رضوان. وأضيفت إلى قصائد الطبعة الأولى ثلاث قصائد هي آخر ما كتبه الشهيد قبل استشهاده بأسبوعين. والقصائد هي: اللقاء الأول – أزمان – تداعيات في الحب وأمور أخرى، نشرت في آخر الديوان.

الشاعر العراقي الكبير سعدي يوسف قدّم للطبعة الجديدة بالكلمة المؤثرة التالية

المحرر

في أواسط السبعينات، وببغداد عرفته.

أيامها، كنت في «المركز الفولكلوري»، بعيداً عن الضجيج، منصرفاً عنه إلى ضجيج خفيَ في الروح ربما كان أعلى صوتاً.

أتذكر أن سعيداً نشر آنذاك قصيدة في صحيفتنا اليومية، وكان للقصيدة مفاجأتها، لديَ، أنا الذي أعرف من أهل الشعر في البحرين أسماء محددة عزيزة، ليس بينها اسم سعيد العوناتي.

أسررتُ لصديق رغبتي في التقاء الشاعر الشاب، ولم تمرُ أيامٌ عديدة، حتى التقيته، حين كنتُ أعمل.

كان ذا صوت واضح خفيض، وعينين مستقرتين، وتواضع مكتمل، تحدثنا عن الشعر في البحرين، وعدني بأن يزودني مما لديه من مطبوعات متصلة بحديثنا. وقد برَّ بوعده، بل قدَّم لي أكثر مما اقتضى الوعد: ديواناً من الشعر الشعبي أيضاً.

وتوالت لقاءاتنا حتى تواترت، وحتى أخذ يطلعني على قصائد له جديدة، وكنا نتداول أمرها، ونتداول الأمور بعامة، ثقافة وسياسة، وأنباءَ عن البلد المحتدم.

وكنت أعجب لهدوئه واستقراره وثقته، في وقت لم تكن فيه الأيام، هناك، مدعاة هدوء واستقرار وثقة. قال لي يوماً أنه سيذهب إلى أوروبا، أوروبا الاشتراكية في الغالب، ليتابع دراسته. وكان النبأ مفرحاً. ثم جاءني يوماً، مودعّاً.

إلى أين؟ للدراسة؟ قال: نعم، لكني سأزور البحرين زورة قصيرة، أرى فيها الأهل والأصدقاء، وبعدها أذهب إلى حيث استكمل دراسة. وكان حدَثني عن صحيفة هناك كتب فيها.

سألته إن كان مطمئناً إلى رحلته. قال إنه لن يطيل المكث في البحرين:

هكذا كان الوداع.

سعيد العوناتي أطال المكث في وطنه.

سعيد العوناتي قُتل في 1976/12/12.

سعيد العوناتي هُشم رأسه تعذيباً.

في ديسمبر 1976، كان شاعر هو عبداللطيف اللعبي، سجيناً في السجن المدني بالقنيطرة (المملكة المغربية). يقول في رسالة موجهة إلى ولده ياسين، مؤرخة في الثامن والعشرين من ديسمبر 1976: «أن تكتب، معناه في العمق، أنك تتقاسم مع الآخرين شيئاً ما. كما لو أنك توجه الدعوة للتفاهم والمحبة

سعدي يوسف

والإقدام على فعل ما»(*).

سعيد العوناتي في ديوانه الوحيد (إليك أيها الوطن.. إليكِ أيتها الحبيبة)، يحقّ له أن يعتبر ما كتبه عبداللطيف اللعبي موجهاً إليه. فهو، شأنه شأن الناس، يتقاسم مع الآخرين شيئاً ما، إلا أن ما يتقاسمه مع الأخرين هو الأمر الصعب، هو الاختيار العذب والقاسي في آن. هذا الاقتسام يستغرق المجموعة، ابتداء من «زويا» حتى القصيدة الأخيرة «للخروج من الصمت». ولسعيد مدخله الأثير هنا، مدخله الذكي؛ إنه يعتمد الشخصي أولاً، لينطلق منه. من هنا يأتي الاقناع في النص الشعري:

حين أدق عليك الباب فتفتحه
أدخل مرتعشاً، في عينيك كتابك
أو مبتلاً بالمطر النازل من سعف النخل
ومن زرقة ماء البحر
هل تذكر ذلك؟
«حين أردَ الماء مرتعشاً»

حتى في الموضوع الذي يستلزم صراحة أكبر، وتعجُّلاً نحو العامّ، نجد سعيداً يتأنى، ويظل أميناً إلى مدخله الأثير، قد تنتهي القصيدة بالهتاف أو الصرخة، لكن هذين لا يأتيان إلا بعد جهد بُذِل، قدر الاستطاعة، بحيث تجد الانتقالة تبريرها. في قصيدة «أغنية الكوكب المتواري»، يكون المدخل المشترك ذكرى الطفولة:

هل تذكر تلك الريح البرية.
يا من كنت معي فوق رمال البحر.
وفي الطرقات تغني
والأطفال عصافيرٌ تسرح فيما بين العامين.
وترسم لوحات للنخل المتمدد من آلاف السنوات.
بهذي الجزر المملوءة بالأصداف..

ويتدرج في تصعيد الذكرى، وتوظيفها، لينتقل إلى الحدث، إلى «الإقدام على فعل ما»، كما يقول اللعبي، ويأتي التصريح تلميحاً ذكياً في نهايات القصيدة:

هناك سماء بلادي
يا من كنت على مقربة منا
والفتياتُ يطفن بباب البحرين
يرددن هتافاً يحمل اسمك..

على أي حال، لا أريد أن أحمل سعيداً فوق طاقته. لا أريد أن أقول إنه شقَ طريقه حتى النقطة التي نتوقف معه، عندها، طويلاً. لقد استُشهد، وهو في أوائل بحثه الشعري. أقول: بحثه الشعري، لأنه كان يبحث، حقاً، عن قصيدته. وفي ديوانه أمثلة قليلة على بحث متجرد طموح. قصيدته «لحظة تأمل في الذاكرة» أنموذج لما كان يمكن أن يشكل (بعد جهد طويل) ملمساً متميزاً لأنامل الشاعر.

في إحدى قصائد ستيفن سبندر، نجد المقطع الآتي:

نظرت من النافذة
إلى خواء عالم يتفجر.
الأحجار والحصا، مقذوفة، نافورة إلى أعلى
تميل بها الريح.
جفّ من ذهنك كل إحساس
سوى أنك وحيد
لا شيء ثابت لتثبت عليه العينُ
صرت، ثانية، طفلاً.
يرى للمرة الأولى كيف تحدث أسوأ الأشياء.

كان قدر سعيد العوناتي، ليس أن يرى للمرة الأولى كيف تحدث «أسوأ الأشياء». كان قدره أن يرى هذه الأشياء السيئة تحدث آلاف المرات، وكل يوم.. بحيث لم يعد فيها ما يدهش، أو يفاجيء.

والطفولة (طفولته، المفعمة برائحة البحر والنخيل والمطر، الطفولة التي كانت مدخله إلى القصيدة، والحياة..) رحلت مبكرة، قبل أن يستنفدها، أو يمضي طويلاً في استكناهها واستخدامها. والوحدة. الضرورية للشاعر فنياً، وجدت نفسها منتحية إزاء ضرورات أكثر إلحاحاً.

بالرغم من هذا كله، طل الشعر لدى سعيد هاجساً شديد الإلحاح، هاجساً أول، بارزاً تماماً بين الأولويات العديدة.

****

يقول هنري ميللر «إن فعل القتل، سيبلغ غايته سريعاً، وعندما يختنق صوت الشاعر، يفقد التاريخ معناه، وينفجر وعدُ الدينونة، مثل فجر جديد مخيف، على وعي الإنسان(**).

****

في محاكمة غرامشي، قال له القاضي: «إني أريد أن أعطل هذا العقل عشرين عاماً». وحكم عليه بالسجن تلك الأعوام.

وفي البحرين قتلوا شاعراً شاباً، كي يعطلوا تطوره اللاحق الأكيد.

****

وفي الذكرى العاشرة لاستشهاد سعيد العوناتي، ومع صدور الطبعة الجديدة لمجموعته اليتيمة، يحق لنا القول إن فعل القتل لم يبلغ غايته، ما دام سعيد العوناتي في أفئدة شعبه ورفاقه. وسنظل نتابع مآثره وآثاره، ولن تظل المجموعة اليتيمة يتيمةٌ، فطبعتها الجديدة تضم ثلاث قصائد مضافة لسعيد، ثلاث شارات له، ثلاث إشارات إلينا.

نيقوسيا 1986/12/30

*** عبداللطيف اللعبي، (رسائل السجن 1972–1980)، ص198–199، (دار التنوير – بيروت 1985).**

*** هنير ميللر: زمن القتلة.**

أهم عشرة كتاب عرب

تختلف القائمة العربية لأفضل الكتاب العرب من بلد إلى آخر، كما تختلف مقاييس التصنيف والترتيب حسب اللغات الأجنبية التي ترجموا إليها، أو حسب شعبية البعض ونجوميتهم، أو حسب عدد الجوائز المحصودة من طرفهم من هنا وهناك، أو حسب مقاييس أخرى تبدو أكثر غرابة من أن يصنّف وفقها الأدب والأدباء.
تُظهر هذه النتائج المتناقضة أحيانا كم أن القارئ العربي اليوم لا ذائقة له في الحقيقة في فرض تصنيف حسب المحتوى الإنساني للنصوص والرؤَى، بما أن المقاييس أصبحت سطحية، ولا تلامس الأعماق.

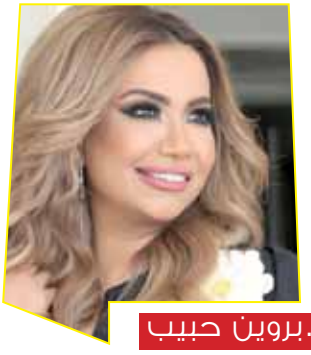
د.بروين حبيب

تلتقي غادة السمان ورجاء الصانع ورضوى عاشور وإميلي نصر الله في القائمة نفسها، حسب أحد المواقع، مع أن الخلل يبدو واضحا في جمع هذه الأسماء معًا، فكل كاتبة تمثل مدرسة في حد ذاتها أمام انكسار السلم بتواجد رجاء الصانع معهن، كوننا نقف أمام كاتبة شابة حين نشرت روايتها الوحيدة «بنات الرياض»، حتى وإن تردد أنها ترجمت لأربعين لغة، فإن ذلك لا يشفع لنصها "الوحيد" أن يخترق تجارب أدبية طويلة وناضجة ويزكيها ككاتبة مهمة.

نعرف جيدا أن كتاب رجاء الصانع، مجرّد كتاب وليس رواية، وأنّه يستحيل أن ينافس في لغته و بنائه الأعمال الروائية للكاتبات سابقات الذكر، كما نعرف جيدًا أن الأدب يُكتب بجماليات لغوية لا تكسر المألوف ولكنّها تمنحه إضافات تثريه وتثري به المكتبة الأدبية، فبأي مقياس قيست أهمية "بنات الرياض" علما أن كاتبًا بنفس مقاييس الصانع هو علاء الأسواني كونه طبيب أسنان و كاتبًا أيضا وقد حقق مبيعات ساحقة في العالم العربي بروايته، وهو كاتب قصة، وله مؤلفات سياسية تلخص توجهه الفكري عمومًا، وقد ترجم للغات كثيرة ونال جوائز عربية وعالمية، كما دخل السينما بأعماله من بابها الواسع، فلماذا لم يذكر ضمن قائمة أهم عشرة كتاب عرب ؟

ما الذي أقصى الأسواني وزكّى الصانع؟

نطرح الأسئلة ونبحث عن إجابات مقنعة تكون بوصلة للقارئ العربي حتى لا يضيع بين وجهات النظر الإعلامية المتناقضة فنقف عند متناقضات تسخّف من الأدب وتجعله وجبة سريعة لجائع في الطريق.

تحضر أسماء وتغيب أسماء، ويبقى اسم نجيب محفوظ اليوم أكثر تكرارًا ككاتب عالمي، فيما يغطي بمظلته العالمية الكتاب المصريين إن لم نقل أغلبهم، وما حضور رضوى عاشور كإسم متكرر بين القوائم المهمة للكتاب العرب إلا صدفة جمعت إعلاميي مواقع الإنترنت ذوي الثقافة الأدبية الضعيفة والجيدة.

نحار بين تلك القوائم التي تخلو من أسماء لكتاب أفنوا أعمارهم لإشعال شموع المشهد الثقافي العربي، لا يظهر اسم الكاتب المصري بهاء طاهر مثلاً، ولا اسم السوري خيري الذهبي، لا تظهر العراقية هديّة حسين، ولا مواطنتها إنعام كجه جي، ولا المغربية فاطمة المرنيسي ...

تُختصر هذه القوائم في أسماء وقعت كتبها بالأمس في أحد معارض الكتاب القريبة، بمبيعات خرافية لا يصدقها عاقل ...ثلاثة ملايين نسخة، مليون ونصف نسخة...من يصدق هذه الأكاذيب في زمن الاحتقان الاقتصادي والثقافي ؟ أقول هذا مع إيماني الكامل أن مبيعات الكتب في تصاعد، لكن دون مبالغات.

تنجح رواية واحدة لأحد الكتاب، تنال جائزة مع الكثير من التهليل العربي، لكن شيئًا غريبًا يحدث بعد ذلك، لا رواية أخرى تنال الإقبال نفسه، يبقى الكاتب معلّقا في مشنقته الوحيدة، يكتب مزيدا من الروايات فيما طابعه واحد، ولنا في ذلك نماذج من بينها "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح، و"الحب اللاتيني" لسهيل إدريس وكأن لا أعمال أخرى للكاتبين غير هذين.

تخرج «كليلة و دمنة» و«ألف ليلة وليلة» من كهف سحيق وتنافسان كتاب معاصرين، يخرج توفيق الحكيم أيضا من برزخه ولا يظهر يوسف إدريس وإحسان عبد القدوس في أفق القارئ العربي اليوم، فنتساءل ما هوية هذا القارئ ؟ من يوجهه في قراءاته؟ ففي موقع مثل "غود ريدز" تنقلب الطاولة على أسماء شهيرة، تعتبر نفسها متربعة على عرش الأدب اليوم، فتظهر أسماء أخرى تماما مثل جلال عامر وأحمد مراد، لديها أقلام خفيفة، خالية من العبء اللغوي الذي تميز به كتاب كثر دخل أصحابها المغامرة الروائية من الباب اللغوي المحض، ينتصر هؤلاء الكتاب، لسهولة فهم ما يكتبون، ولأن ترسانة الترويج لأدبهم أصبحت متاحة ليس فقط عبر وسائل الإعلام الكلاسيكية "راديو وتلفزيون ومجلات" بل عبر شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الإجتماعي، حيث يقدّم الكتاب كوجبة خفيفة ولذيذة، أو كدواء لجِراح النفس العربية جرّاء المكبوتات الكثيرة والحرمان بكل أنواعه، بدءاً بحرية التعبير داخل الأسرة والمدارس والمؤسسات إلى الحرمان العاطفي والجنسي الذي يترتب عنه عنف غير طبيعي تجاه كل ما هو حي، وحتى تجاه الحجر، من طرف أفراد مجتمع ناقم على من كتم أنفاسه. لا أحد ينجو من ذلك العنف إلا من مشى في سكّة الأدب، حيث تجد نفسه ما ينقذها من بؤس الخارج.

نقف مدهوشين أمام هذا المعطى الخطير، فنحن لسنا أمام نوعية طبيعية من القرّاء، نحن أمام معاناة حقيقية لنفوس محطّمة، مهشّمة، محبوسة في أقبية مظلمة، ممنوعة من ممارسة أدنى حاجاتها الطبيعية، وفوق ذلك ننتظر منها أن تكون مثالية...!

يا للهول ....هل يمكن لكاتب خارج من هذا النفق وهو يروي بؤسه ومحنته بعتاده اللغوي البسيط أن يكتب أدبًا مثل الذي درسناه بين أسوار الجامعات أيام زمان؟ وهل يمكننا أن نقنع أكبر شريحة من قراء اليوم وهم مشدودين بين عالمين متناقضين، ويحملقون من عمق النفق في الفوهة العجيبة المضيئة بأن يقرأوا «مدن الملح» لعبد الرّحمن منيف؟ أو «جارات أبي موسى» لأحمد التوفيق؟ فقد أصبحت هذه الأسماء و أخرى كثيرة غريبة وسط زحام المنشورات الجديدة، ووسط هذه القوائم المكّررة عبر مواقع كثيرة، وهي بكل أسى تضع الأدب في قالب التّسالي لا في قالب التسامي.

ثم في مقاربات بسيطة بين بعض القوائم، سنكتشف أن الأجيال تختلف، لكن الهوة سحيقة بينها، فقد استمتعنا في زمننا بقراءة نجيب محفوظ، وإدوار الخراط، ومحمود المسعدي ويوسف القعيد، وغسان كنفاني وإميل حبيبي وآخرين من نفس الطينة، فصعب علينا الإندماج في ما هو أقل مستوىً، ويبدو أن قوائم كتابنا إن لم نعمل على الترويج لها ومجاراة سرعة هذا الجيل التكنولوجي، فإن الأدب سيزداد سقوطا في السهولة والتمييع، والرتابة، وإهمال صحة وعافية اللغة، ليصبح مجرّد قصص مثل قصص "عبير» زمان.

يبدو لي أننا مقصرون جدا تجاه أنفسنا أولاً، كوننا ننتمي لزمن أُلبِسَ فيه الأدب بدلة رسمية لكل المناسبات، وقد آن له أن ينصهر في اللفيف الإجتماعي الجديد، حيث لا رسميات ولا ربطات عنق للأدب، أمام انبهار الأجيال الشابة بحكايات تشبه المخدّرات، مختصرة وخفيفة وتجعل الواحد يحلّق منتشيا لبعض لحظات قبل أن يبدأ بسرد ما يماثلها، معتقدا أن الأدب ليس أكثر من حكاية مسلية.

هكذا تحدث جوركي عن تشيخوف

مع أنه لم يتضح لنا ما إذا القاص الكبير انطون تشيخوف قد أعتنق الفكر الاشتراكي الماركسي، إلا أن سيرة حياته الوضاءة ونُبله وكراهيته للأقطاع وحُبه للفقراء ودفاعه عنهم وكراهيته الشديدة لمستغليهم هي كلها خصال لا تتوافر إلا في شخصية الإنسان الاشتراكي الفذ الذي آمن بالمُثل والمباديء الاشتراكية العليا ويناضل من أجلها قولاً وفعلاً ، وبعبارة اخرى يمكننا القول بلا تردد كان تشيخوف اشتراكيا في المباديء والممارسة دون أن يكون ماركسياً .

رضي السمّاك

وُلد تشيخوف عام 1860 قبل دخول الفكر الماركسي بلاده روسيا، بل مازال ماركس حينها في ألمانيا يعكف على مواصلة أعماله الفكرية الاشتراكية ويخطط للتو لكتابة موسوعته الفكرية الإقتصادية العظيمة "رأس المال"، ولم تدخل الماركسية روسيا إلا خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، ولم يتأسس أول حزب إشتراكي ماركسي (حزب العمال الإشتراكي الديمقراطي الروسي) إلا في أواخر هذا القرن، وتحديداً عام 1898، فيما كان تشيخوف في بدايات دخوله أصعب ظروفه الصحية التي انتهت بموته بمرض السل في ألمانيا عام 1904، ومع أن تشيخوف كان مهيئاً حينذاك للإلتحاق بأي تنظيم ماركسي حيث اكتملت نزعته المادية إلا أنه حسب تعبير أحد كتّاب سيرته، فلاديمير برميلوف، اتخذ موقفاً سلبياً من السياسة.

أما صديقه مكسيم جوركي فالأرجح أنه كان في هذه الفترة الصعبة ذاتها للتو قد تعرف على الفكر الإشتراكي وتأثر به. وأنت إذا ما قرأت سيرته وعرفت ما قاساه من حياة عائلية تحت كنف أب متدين شديد التسلط والغضب ليتملكك إحساس في الحال كأنك ازاء سيرة حياة أب من ريفنا العربي، أو من الأحياء الشعبية للمدن العربية، حتى تكاد تتشابه جوانب من شخصية أبيه مع شخصية "سي السيد" الشهيرة في ثلاثية نجيب محفوظ.

وأنت لتعجب أيضاً كيف أن هذا الإنسان الرقيق الضئيل الحجم عاش كل تلك الظروف العائلية البالغة القسوة من فقر وعذاب وضرب مبرح والتزامات دينية ثقيلة وأعمال شاقة يومية ومع ذلك استطاع أن يحرر نفسه ويتسامى على ذاته دون يترك أي أثر من تلك المرحلة المؤلمة في حياته أن ينعكس على نفسيته في تعامله مع الناس من خلال تواضعه ودماثة خُلقه وحدبه على الفقراء والكادحين والشعور بآلامهم وآمالهم ومقته الشديد لظالميهم، وفي مقدمتهم السلطة السياسية القيصرية التي تقف بقوانينها الجائرة وبأجهزتها الأمنية خلفهم. ومع أنه لم يعش سوى أربعة وأربعين عاماً فإن الدهشة تستبد بك، وأنت ترى كيف أصبح خلال هذا العمر القصير يملك خزاناً كبيراً يفيض بالحلم وينبوعاً عظيماً من الحكمة، فكأننا ازاء شيخ حكيم وقور في السبعينيات أو الثمانينيات من عمره لاشاباً أربعينياً، هو القائل: "في صغري لم تكن لي طفولة "، ولم يكن يبالغ في تعبيره هذا، إذ تحمّل مسؤوليات عائلية جمة متعددة في طفولته وصباه ينوء عن حملها الكبار، ولم يجدالوقت قط للعب مع أترابه من الأطفال في ظل تلك الأعباء الدينية والوظيفية الثقيلة التي تشغل كل نهار يومياته ولياليه والتي كان يفرضها عليه وعلى أشقائه الأب الاستبدادي الغليظ القلب.

يقول عنه صديقه الروائي الكبير جوركي: "يتحدث بحرارة وجدية وصدق، ثم ما يلبث أن يسخر من نفسه ومما قاله، وراء ذلك الضحك والسخرية الحزينة الرقيقة تلمح مسحة من الشك والريبة التي يتسم بها إنسان يقدّر الكلمات ، وقيمة الأحلام ، ويتسم ضحكه هذا أيضاً بسمات تواضعه الأخاذ ورقته العفوية " . ويضيف: "وبحكم بساطته الرائعة كان مغرماً بكل ما هو بسيط وجوهري وصادق، كما يتمتع بأسلوبه الخاص في حمل الآخرين على التحلي بالبساطة." ثم يستطرد: "وعلى الرغم من احتقاره لكل ما هو سوقي وغير نظيف، فهو يصف أسوأ مناحي الحياة باللغة الرفيعة للشاعر وبالسمة اللطيفة للكاتب الساخر حيث يختفي التأنيب الضمني تحت ذلك السطح الصقيل لقصصه، حتى لا يكاد يلحظ".

كما يبدي جوركي أيضاً إعجابه الشديد به في انضباط برامجه اليومية وتقديسه للعمل فيقول: "ويمكنني القول بأنني لم أصادق إنساناً يقدر أهمية العمل كأساس للرقي والثقافة بمثل العمق والتميز اللذين رأيتهما لدى أنطون بافلوفيتش (...). كان مغرماً بالبناء، وزرع الحديقة ، وتزيين الأرض ، كان يحس بشاعرية العمل وكان يرقب

بعناية تمس شغاف القلب نمو أشجار الفاكهة الشجيرات الصغيرة التي يزرعها بنفسه، وفي غمرة انشغاله بأمور لا تُعد ولا تحصى حين كان يبني بيته في أوتكا يقول: لو كل إنسان في العالم فعل كل ما بوسعه في الرقعة التي تخصه، فكم يكون العالم جميلاً بديعاً". ويصوّر جوركي سخريته اللاذعة المتلبسة بالجدية لنساء الوسط المخملي المتشدقات بالاهتمام بأحداث السياسة أثناء الحرب اليونانية – التركية ليعري تفاهة اهتمامهاتن وزيف ذلك الاهتمام بعد أن يقعن في يده بسهولة في سياق حديث عابر فيشعرك وكأنه يعري عينة من الوسط النسائي في عصرنا: " زارته في إحدى المرات ثلاث سيدات باديات الأناقة، ملأن الغرفة بحفيف أثوابهن الحريرية وعبق عطورهن الفوّاحة. أنصتن بترفع مقابله وهن يفتعلن اهتماماً شديداً بأمور السياسة، وبدأن يوجهن الأسئلة له:

– كيف تتوقع الحرب أن تنتهي يا انطون بافلوفتش؟

سعل بافلوفتش وتوقف قليلاً وهو يفكر، ثم أجاب بصوت عميق لطيف وجاد "بالسلام دونما شك !"

– هذا طبيعي، ولكن من سينتصر، اليونانيون أم الأتراك؟

– يبدو لي الجانب الأقوى هو الذي سينتصر: تساءلت النسوة الثلاث بصوت واحد "ولكن من هو الجانب الأقوى في رأيك ؟"

– الجانب الأفضل تغذيةً .. والأحسن تعليماً ..."

وعندئذ صاحت أحداهن: "يا لذكائه اللمّاح"

وتساءلت الاخرى: "ولكن أيهم تفضل أنت اليونانيين أم الأتراك ؟

تطلع إليهن أنطون بافلوفيتش بنظرة حانية وأجاب وابتسامة رقيقة مجاملة ترتسم على شفتيه: أني أفضّل باستيليا الفاكهة. هل تحبينها أنتِ ؟

هتفت السيدة بحماس: " أجل، جداً ! "

وما لبثت الثانية أن أكدت على كلامها بلهجة جادة: "لها طعم رائع" .

وهكذا يصف جوركي الذي كان شاهداً على هذه الواقعة الطريفة كيف تمكّن صاحبه تشيخوف بإسلوبه الساخر اللبق بأن يستدرج ضيفاته الارستقراطيات إلى واحدة من اهتماماتهن الحقيقية بعيداً عن قرف عالم السياسة الذي تصنعن بالاهتمام به فانخرطن في حديث متشعب بحماسة يعددن له صفات ولذة الأقراص المضافة لفاكهة الباستيليا وكيفية تحضير أطباقها، ووعدناه في الوداع لحظة خروجهن بأهدائه طبق من تصميمهن.

كان لينين مؤسس أول دولة إشتراكية، الاتحاد السوفييتي، شديد الإعجاب بكلا الروائيين جوركي وتشيخوف، والأول يمكننا القول بأنه أديب مخضرم عاش شطراً من كلا القرنين التاسع عشر والعشرين وكلا النظامين القيصري والاشتراكي، أما الثاني فقد رحل عند بدايات القرن العشرين، وقد أرسل لينين إلى إخته آنا ليتشينا معبراً عن إعجابه بقصته "العنبر رقم 6": " عندما قرأت هذه القصة أمس ، أصابتني قشعريرة، ولم أستطع البقاء في غرفتي. كان لا بد أن أنهض وأن أخرج إلى الطريق ... إذا أحسست كأني حبيس العنبر 6 أنا نفسي". كما كان مُعجباً برواية "الأُم" لصديقه جوركي، إلا أنه كان يروم إلى توظيف شهرته الأدبية والثقافية المدوية للتبشير بالثورة الإشتراكية في أعماله الأدبية إلى درجة التدخل الفظ فيما يجب أن تكون بدايات ونهايات أبطال رواياته وما يجب ألا تكون، وهذا ما يحد من حرية فضائه الكتابي الذي تختلف قوانينه وشروطه الإبداعية عن مقتضيات النصوص السياسية البحتة، وهذا ما كان يضيق منه جوركي ذرعاً.

وأنت اليوم حتى لو كُنت ماركسياً لينينياً وراجعت نصوص رسائل لينين إليه لأمكنك بقليل من الموضوعية والتجرد أن تلمس بسهولة ما وراء سطورها من محاولات احتواء حريته الإبداعية (راجع ف . إ . لينين، في الأدب والفن، ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ، 1973). ومن أسف أن خلفه في قيادة الحزب ستالين كان أشد فظاظةً في مساعيه لاحتوائه الكامل في قفص من الوصايا والأوامر الستالينية فيما ينبغي أن يكتب وألا يُكتب. وثمة اتهامات بأنه مات مسموماً بتدبير منه لتمرده على هذا القفص ومقاومته الانحشار فيه. ولعل من حسن حظ تشيخوف بأنه لم يدرك المرحلة الاشتراكية أو ينتسب للحزب، فلو أدركها ما كان موقفه في مقاومة الاحتواء الحزبي سيختلف عن موقف صديقه جوركي ولكانت نهايته المأساوية لا تختلف أيضاً عن نهايته.

فيلم الجوكر.. ثورة المهرّجين

أحمد رضي

إن تحوُّل فيلم الجوكر إلى ظاهرة شعبيّة، لن يلغي قيمته الفنيّة. ولكن يمكن أن نسأل، لماذا حصدَ كلّ هذا الاهتمام؟.

أليسَ في تبريرهِ للعنف الفرديّ كردَّة فعل على المجتمع، هو ما يجذب الكثيرين الذين ليس بالضرورة سيمارسون العنف، ولكن هذهِ التهويمات بالعنف قد تشفي غليلهم مثل ما تفعل أحلام اليقظة. إن نهاية عصر الفرديّة لن يكون سوى بنموذج "الجوكر". ففي مجتمع ليبراليّ يعلّمك أنّك وحدك من يتحمّل مسئوليّة ذاتك، فإن هذا الشخص عندما تنسدُّ بهِ السبل، لن يبحث عن تغيير جمعي، وإنما سيأخذ هذا المنطق لأقصاه، أي ممارسة العنف الذاتي والعشوائي، جاعلاً من المجتمع السبب وفق منطق (عندما يتعرّض طفلٌ متوحد للإهمال والعنف، هذا ما ستحصل عليه) وهي الجملة التي نطق بها الجوكر قبل قتل مقدِّم البرامج. إن وعيه بحالته المرضيّة يعني أنه تجاوزها ولكنّه يستعملها كتبرير للجرائم.

فالشخص المريض لا يعي حالته. إن المراهق حين يتصرّف برعونة لن يبرّر فعله بأنه مراهق، وإن فعل ذلك سنعرف أنّه يستعمل هذهِ الحجّة كعذر وحسب.

وهذا هو الخطير في الفيلم عند مشاهدته سطحيًا.

إن كان "فرانز فانون" قد بيّن أن العنف الثوري، كما في حرب تحرير الجزائر من الاستعمار، ليست غايته التحرير فقط، وإنما هو أيضًا بطريقةٍ ما، أشبهُ بعلاج نفسي، يشعر فيه المقاتل بوجوده المُستلب. ولكنّ هذا العلاج يتحوّل في منطق المجتمعات المهووسة بالفرديّة إلى علاج بالعنف الفرديّ المنفلت بلا غاية (ما كانت غاية أعمال العنف والسرقة في ضواحي لندن 2011؟.. لم يكن لها من غاية سوى العنف والسرقة !.

إنّ كان من شيء قد ازداد في عصرنا، فهو الاحساس بكوننا ضحايا، وبأن على أحدٍ ما أن يتحمّل المسئوليّة. الجميع يشعر بأنه منبوذ ومقصّي، ولا يختلف في هذا اليسار عن اليمين، التقدمي والمتديّن. من في السلطة أو في المعارضة. حتى ترامب يشعر بنفسه ضحيّة.

وهذا يعطينا الحق في السؤال، من يقود العربة؟

الجواب: لا أحد.. يبدو أنها تسير وحدها.

ربما من يدفعها من الخلف هو الجوكر الذي هو في المحصّلة، يعني كل الحركات الفوضويّة. إنّ نشوء الحركات الإرهابيّة، لا بدّ ولهُ أسبابٌ اقتصاديّة واجتماعيّة ونفسيّة، إلخ إلخ. ولكن الخيط الرفيع هو في قدرتنا على الفصل بين تفهّم الأسباب لمعالجتها، وبين التعاطف مع الحركات الإرهابيّة. ولعلّ أهم سبب، برأيي، لنشوء مثل هذهِ الحركات الفوضويّة، هو غياب أي مشروع جمعي شعبي للتغيير، وغياب السلطة التي لديها أيضًا مشروع. أو بالأحرى، في عدم قدرتها على السيطرة في حدودٍ أصبحتْ مائعة ومتداخلة، إذ لا حلول محليّة لمشاكل عالميّة. لا أحد يسيطر على شي، كما لو أنّ الجياد فلتتْ من لجامها، وكل ما نرجوه أن لا تأخذنا إلى هاوية.

إنّ المنطقة التي ابدع فيها فيلم الجوكر، ليستْ في الكشف السايكولوجي، أو غير ذلك ممّا يُرَادُ للفيلم أن يقدّمه بناءًا على مقارنة بأفلام أخرى. وإنما هي في الالتباس بين الكوميدي والمأساوي، وبين التفهّم والتعاطف. يقف المتفرّج أحيانًا حائرًا بأي طريقة ينظر(من يقرّر ما هو مضحك أو غير مضحك). أن تتفهّم ما يمرُّ بهِ "الجوكر" دون أن تستطيع التعاطف التام مع أفعاله، وإن كان لها ما يبرّرها ضمن سياق الفيلم.

إنه لا يطرح حلولاً، وهذهِ ليست وظيفته. فمتى كان الفن يقدّم حلولاً؟. إنه يعرض مشكلة حقيقيّة تعاني منها مختلف المجتمعات في العصرِ الحالي.

حيث لا يوجد حلٌ في الأفق، وليس لدينا سوى المسكّنات، ربما الحلُ هو في البدء في التفكير ـ على الأقل، حيث إنّ كل مشاريع التغيير الجمعيّة الثوريّة انتهت إلى مآلات غير ما أريد لها، الأنظمة الشيوعية أصبحتْ مثالا للبيروقراطيّة والسلطويّة. ولا يلوح في الأفق سوى التطرف اليميني والرجعي، أو في أحسن الأحوال، مطالبات ليبراليّة إصلاحيّة، تعمل من أجل تزييت مفاصل النظام القائم.

إن ضحكة المهرّج الجوفاء، والخالية من المرح الحقيقي، هي ضدّ كل الضحكات التي نتناول فيها القضايا المصيريّة. حيث تعمل البرامج الكوميديّة التي تناقش القضايا السياسيّة في المجتمعات الليبراليّة كمطهّرات نفسيّة ضدّ أي معارضة حقيقية للنظام.

يقول أستاذ فرنسي: "في الستينات، عنما كنتُ أود جذب اهتمام الطلبة أتحدّث في السياسة، وعندما أريد اضحاكهم أتحدّث عن الدين، بينما الآن أفعل العكس، أتحدّث في السياسة عندما أريد اضحاكهم، وأتحدّث عن الدين عندما أريد جذب اهتمامهم".

أصبحت الغالبيّة، لا تتابع شأنًا سياسيًا بتعمّق تام. وتستعيض عنه بمتابعة البرامج الكوميديّة التي تتناول الشان السياسي.

لا ننسى أنّ مقدّم البرامج الكوميديّة في الفيلم، والذي تعرّض للقتل على يد المهرّج في بثٍ مباشر، كان في أول ظهورٍ لهُ في الفيلم يسخر من الحكومة: سيكون قتلهُ مستحقًا إذًا وفق منطق الفيلم، ليس لانه سخر من المهرّج، ولكن لأنه يحرف القضايا الجوهريّة ليجعلها مادةً لتنفيس الجمهور.

يبدو من الصعب تحويل سلسلة أفلام خياليّة (أفلام باتمان) إلى فيلم قريب من الواقع. كما في هذا الفيلم الذي يرّكز على شخصيّة "الجوكر"، بحثًا في ماضيه قبل أن يتحوّل إلى الجوكر الذي عرفناه في سلسلة الأفلام تلك. ترافق موسيقى "التشيلو" العميقة مشاهد الفيلم كما لو أنّه تذكيرٌ بوجود شي حقيقي وجاد، وليس محض خيال في الأحداث.

فما هو سبب تحوّل شخصيّة آرثر، إلى شخصيّة الجوكر؟

في الأفلام السابقة كان الجوكر تجسيدًا للفوضى المطلقة وللجنون المحض، إنه العدميّة التامّة حيث لا غاية ولا معنى لكلّ ما يقوم به، وحيث تختلط المأساة بالكوميديا، كما تشاء أن تراها أنت.

في فيلم باتمان السابق "دارك نايت"، كانت شخصيّة الجوكر، تعطي كل شخص أجوبةٍ مختلفة حول سبب الجرح الذي يشكّل ابتسامة في خديّه. إذ يعرض لهم في كلّ مرة معاناة مختلفة ومختلقة بطريقة فرويديه، كما لو أنه يسخر من أي سببيّة أو محاولة للتحليل.

بينما في هذا الفيلم، هناك محاولة للفهم في الأسباب الممكنة لهذا الجنون: "مرض بيولوجي، سوء معاملة في الطفولة، الأنانيّة والفظاظة في المجتمع، الفقر والطبقيّة، النظام الفاقد للمصداقيّة" إلخ.

ولكن كلّ هذا لا يؤدي لديه إلى غاية سياسيّة، وإنما إلى فوضى عنيفة ودمويّة. حيث تُلهم جريمة القتل التي قام بها لموظفي "وول ستريت" مجموعاتٍ من الشباب أخذت بارتداء قناع المهرّجين لتنشر الفوضى والتخريب.

ما كان يمثلّه الجوكر، هو الخروج من أيّة قواعد، الخروج من كلّ لعبة، إنه أشبه بفكر "ما بعد الحداثة في المجتمعات السائلة". ولم يكن يهمّنا في سلسلة الأفلام السابقة معرفة تاريخه. ولكن في هذا الفيلم، وعلى الرغم ممّا قد يقال عنه بأنه يشكّل تحريضًا على الفوضى في العالم الواقعي. إلا أنه من ناحيةٍ أخرى، محاولة لترويض شخصيّة الجوكر، وذلك عبر عقلنة شخصيته وسيرورته.

إنه بمعنى ما، أمر يمكن فهمه ويمكن تفاديه، وهذا هو الجانب الإيجابي في الفيلم. ولكن كيف يمكن تفادي الجوكر القادم؟ والذي هو مصير مجتمعاتنا في ظل غياب أيّة مشاريع فكرية وآيديولوجيّة للتغيير؟.

إنّ مصيرنا سيكون الوقوع في «تفاهة الشر» ولكن ليس على طريقة (حنّا أرندت) التي اجترحت هذا المصطلح لتعني به الغاء العقل الفردي لصالح الانضباط البيروقراطي، وإنما يعني الانفلات من كلّ عقلانيّة، هي تفاهةٌ عبثيّةٌ تنشر الدم مع الضحك. ولكنّه ..ضحكٌ كالبكاء.

الموسيقى.. يوم حلو ويوم مرّ

بتول حميد

حين ترفع معزوفة موسيقية قدميّ سنتيمترات عن الأرض أستذكر على الفور مشهد شفيف لـ فاتن حمامة.. في فيلم «يوم حلو ويوم مر»؛ حين أُقيم عرس في الحارة الشعبية ذهبت فاتن حمامة «عيشة» لتضع الماكياج على العروس وشغلَها منظر عازف الأكورديون ودخان السيجارة يتصاعد بين فمه وأرنبة أنفه. كأنما يرسم إطاراً لهيئته المزرية وفيما هي تتأمله لاحت صورة زوجها الراحل وهو يقود الموسيقى العسكرية ببزة أنيقة ونظيفة ممسكاً بعصا المايسترو وبكل ما يملك من زهو وخيلاء وأنفة ليتعالى بعدها صوت الآلات النحاسية ويبدأ صوت الفرقة في الصعود «مصر مصر مصر أمنا» فتتوارى صورة الموسيقي الحشاش من بصرها بشكل كامل.

هذا المشهد العميق بالنسبة لي أيقونةً غنية للتعبير عن الفن الزمني للموسيقى وما تفعله من سحر يطوّع اللحظات للانشطار لما قبل سماعها وما بعدها؛ وبالتالي فهي تفرض مشابهتها إلى الحد الأقصى مقارنة بغيرها مِن الفنون لحركة الذاكرة.. فنحن على الأغلب حين نستعيد ذكرى معينة نقوم في الحقيقة باستدعاء (تتابع) زمني معين مترابط، وهو أيضًا ما يحدث بشكل تلقائي ناعم حين نعيد الاستماع إلى لحن نعرفه مسبقاً، بينما لا يحدث الأمر ذاته حين نستدعي تتابعاً زمنياً يتعلق بمبنى عمراني محدد، لأننا نستعيده دفعة واحدة في مكانٍ غالباً لا في زمان. أما إعادة قراءة نص شعري مثلاً فهو يرتبط كذلك بمفاهيمٍ وتصورات قائمة بشكل «لا- زمكاني» في تشكيلنا الجوانيّ. صحيح أن كل استعادة تأملية تحدث في تتابع زماني لكنّ الفارق ربما يكمن في كوْن الموسيقى هي الأقرب والأكثر تلقائية في التعبير عن حركة الذاكرة، ولما تتركه من انطباع تلقائي عن التلاشي نظرًا لأنها فن يتكون من أحداث لحظية تتلاشى دائمًا لتحل محلها لحظات أخرى أو صمت مطوّل لتبرهن أنها أيضاً فن للتحوّل والصيرورة.

ولعل ماهو مذهل حقًا بين ذاكرة حادة ونسيان هش؛ محاولة العلماء المتكررة لفهم سبب قدرة الموسيقيين على الاحتفاظ بالذاكرة الموسيقية حتى لو فقدوا الذاكرة بشكلٍ عام، ويرون أن السبب قد يكون في أن الذاكرة الموسيقية تخزن في جزء خاص ومنفصل في الدماغ!

وعن التحرر من الذاكرة بالانغماس في الموسيقى؛ يقول الفيلسوف الموسيقيّ فيكتور زوكر كاندل، في كتابه ‹›الصوت والرمز‹›: ‹›سماع لحنٍ هو سماعٌ مع اللّحن. هو حتى حالةٌ لسماع لحن، بحيث أن النغمة الموجودة في اللحظة الحالية يجب أن تملأ الوعي كلياً، لا شيءً يجب أن يُتَذَكّر، لا شيء باستثنائها أو بالإضافة إليها يجب أن يكون موجودًا في الوعي. سماع لحنٍ هو أن تسمع، وتكون قد سمعت، وعلى وشك أن تسمع، في وقتٍ واحد. كلّ لحنٍ يعلن لنا أنّ الماضي يمكن أن يكون هناك من دون أن يُتَذَكّر، والمستقبل هناك من دون أن يُعْرَف مسبقًا‹›. قد نميل إلى هذا القوْل رغم إذعاننا العميق بأنّ الموسيقى فن أصيل لحركة الذاكرة واستدعائها على نحوٍ عبقري.. أليس التماهي في لذة التحرر الزمني أرق من الاصطدام بجدران الذّكريات..؟

لعبة الكراسي المتحركة

قصة قصيـرة

عصمت الموسوي

لا أحد يعرف كيف وصل العامل الآسيوي سونيل إلى منزل تلك العائلة البحرينية. ربما استقدم من الخارج لمساعدة ربة الأسرة المريضة أو ربما كان هاربًا من كفيله، الأمر الأرجح أنه طرق الباب عارضًا تقديم خدمة رعاية الحديقة أو غسل السيارات أو غيرها من الخدمات التي يؤديها بثمن زهيد عمال التأشيرة الحرة في بلدنا والذين يجوبون الأحياء والطرقات بحثًا عن مهن غير مستدامة فتتنوع ظروف عملهم وأقدراهم، وقد يحالفهم الحظ فينتهون إلى مصائر لم تخطر ببالهم يومًا. اعتذرت سيدة البيت ل «سونيل»، شكَرها وسألها أن تحتفظ برقم هاتفه إذا دعت الحاجة.

كانت سيدة البيت امرأة ميسورة ومترفعة، انتظرت العرسان طويلاً ووضعت الشروط الكثيرة والمتطلبات المعقدة فخسرت كثيراً من المتقدمين لها، حين أوشك خريف العمر أن يداهمها وتزوجت كل صويحباتها، قبلت على مضض بزواج سريع وغير متكافئ جاء عبر خطبة تقليدية أقامت حسرة طويلة في نفسها، بيد أنها قررت أن ان تُنمي هذا الزوج وتُطوره وتصلح حاله الهزيل لجعله جديراً بها وبأحلامها وطموحاتها، وأما الزوج فقد كان شابًا بسيطًا يعمل موظفًا بإحدى الوزارات ويحمل أفكارا تقليدية جداً، ويرى الزوجة كما كان يرى أمه قانعة راضية بواقعها ومطيعة ولا همَّ لها الا خدمة زوجها وطاعته .

عاش الزوجان تحت سقف واحد، أما احلامهما ورغباتهما وتطلعاتهما فقد كانت في مكان آخر.

كان الزوجان يستعدان لرحلة سفر صيفية معتادة حين انزلقت رجل الزوجة اثناء نزولها درج البيت فسقطت وكسر حوضها فاحتاجت إلى علاج فيزيائي طويل وكرسي عجلات متحرك، والزوج الذي أخفق في السابق في اخضاع زوجته في ادارة الصراع الزوجي لمصلحته، وجد فرصته في استعادة نفوذه واسترداد مكانته المضيَعة وقهر كبرياء زوجته وعنادها ومعايرتها له ولأهله "ومستوانا ومستواكم" "وعائلتي وعائلتكم". فالزوج الذي كان صفراً، صار رقمًا مهمًا بعد حادث السقوط هذا، وهنا برزت لديه نزعة الانتقام والتشفي، فكان يصرّ على أخذها إلى كل مكان، كالأسواق والمعارض لكي يشاهد الناس الزوجة المستسلمة المحتاجة المسكينة المغلوبة على أمرها والتي يقودها زوجها – ذلك النكرة الذي لم تعترف به وبحاجتها إليه قبل هذا اليوم – إذ صارت تنتظر عونه ومساعدته في كل تحركاتها.

في ذلك الصباح، أعدّت الزوجة كرسيها وسألت الزوج أن يأخذها إلى أحد المجمعات التجارية فأبدى موافقته وترحيبه، ما أن توسطت باحة المجمع حتى توقف دفع الكرسي، التفتت وراءها فلم تجد زوجها، لا أحد يعلم هل تعمد الزوج تركها وحيدة وذهب للاختباء في مكان آخر ولجعلها فرجة للناس، أم أن أمراً مباغتًا قد داهم الزوج في تلك اللحظة، انتظرت الزوجة زوجها نصف ساعة لكنها بدت لها كدهرٍ طويل وممل، أصيبت بالإرباك والحرج وحاولت تلافي عيون المتسوقين وفضولهم إذ بدت كمجسم إعلاني حي مثير للدهشة والفضول، وراحت تهاتف رقمه مرات متتالية دون أن تلقى استجابة، وتساءلت هل تبلغ القسوة حد اهدار كرامتها وتعريضها لهذا الهوان؟ .

عندما لاح من بعيد لم تسأله اين كنت، كانت ممتلئة باليقين أن الامر لا يتعدى كونه لعبة أخرى لإذلالها، التزمت الصمت إلى حين وصولها إلى بيتها فاستجمعت قواها وأعملت فكرها محاولة إيجاد خطة محكمة للرد، لكن غادرتها الحكمة والتعقل والهدوء إزاء استهتار زوجها وعدم اكتراثه وعجزه عن إيجاد مبررمنطقي لما حدث، اختارت الزوجة أقسى العبارات والكلمات والحكايات الأكثر إيلامًا وتجريحًا، قذفتها في وجه الزوج بانفعال شديد دون وعي وانتباه، فهدّد بتطليقها أو الاعتذار وطلب الصفح منه فرفضت وأمعنت في عنادها.

ذهب الزوج إلى الشيخ الذي عقد قرانهما طالبا النصح فأثناه عن الإقدام على الطلاق في حالة الغضب، حين عاد الى البيت وجد الزوجة وقد غارت المكان إلى بيت أهلها، توسَّط الأهل مجددا من أجل المصالحة بينهما، وعادا إلى البيت على مضض وتواصل مسلسل المشاحنات، ومعايرة الزوج بأصله وفصله وأهله ومستواه، انفصلا في الغرف واستمرّ الجفاء بينهما، صار الحوار بينهما بالإشارات وبالمسجات الهاتفية، وكل منهما يفكر كل يوم كيف يضرّ الاخر ويكيد له وينتقم منه ويختلق المناسبات ويحبك المؤامرات. قرّر الزوج في لحظة صفاء أن يعتذر لزوجته ويجبر خاطرها المكسور ويبدأ صفحة جديدة، فالزوجة الثرية لا يتركها أو يطلقها إلا احمق أو معتوه، ضمرها في سره، نصحها بالقول: انزلي من كبرياءك وتواضعي وتعلمي تبادل الحاجة مع الآخرين، بيد أن الزوجة رأت في محاولة الصلح مجرد مناورة وملعوب آخر لتكسير رأسها واخضاعها وفق شروطه فرفضت مساعدته «الله لا يحوجني اليك»، «عندي فلوسي التي تغينني عنك»، «الفلوس أهم من الزوج».

وجد الصلح طريقه إليهما أخيرا وفق شرط فرضته الزوجة ولقي قبولا لدى الزوج وهو أن تستعين بعامل آسيوي يخدمها ويلغي حاجتها الى زوجها، فهاتفت العامل الآسيوي سونيل الذي أتي مسرعا بدراجته الهوائية، وما هي إلا أيام بسيطة حتى أصبح مقربا من الزوجة مما خلق الغيرة في نفس الزوج، فجنّ جنونه وراح يتحين الفرص ويختلق الأعذار لطرده من البيت: «فشلتينا مع عشيقك»، «الدنيا كلها تتكلم علينا» إلا أن الزوجة أبقت سونيل، واستعادت بوجوده بعضًا من سطوتها وجبروتها ومنحها هذا التكتيك متسعًا من القوة والمناورة في معركتها مع زوجها، وتحول سونيل إلى شبه «ضرّة» للزوج.

في مطلع الشتاء التالي تعرض الزوج لإصابة عمل حادة فاحتاج إلى اجراء جراحة لانزلاق غضروفي حاد، عاد إلى البيت من مشفاه مستعينا بعكازة ثم بكرسي العجلات المتحرك، كانت الزوجة وقتها قد تعافت تماما وتخلصت من كرسيها ووضعته في مخزن البيت، وليس يعلم هل رغبت الزوجة في مساعدة زوجها في محنته تلك أم أنه مجرد ادعاء، نفضت الغبار عن كرسيها المتحرك وضبطت أزراره ارتفاعا وانخفاضا وفق حاجة الزوج، وطلبت أن تجره بنفسها كنوع من رد الجميل، شعر الزوج أنها لعبة أخرى للسيطرة والاذلال والاحتقار المعتادة منها وليست تعاطفًا أو اخلاصا زوجيًا مفاجئًا، فرفض مساعدتها.

هكذا جرى تبادل الكرسي المتحرك بين الزوجين المتباغضين والمشحونين حقداً وغلًا وكرهًا لبعضهما، فمرة يقوده الزوج ومرة تقوده الزوجة، وفي كل جولة صراعية بينهما تتجلى كل أنواع المكائد والدهاء والرغبات الدفينة والمتوارية ويتبدى ذلك الخضوع والإنكسار والتسليم والطاعة والجبروت والتعنت والبطش على وجه كل من يأخذ موقعه من الكرسي، فإذا كان قائما وواقفا على رجليه بدا ممتلكًا لقانون اللعبة وممارسة كل أنواع التسلط والغطرسة، وإذا كان جالسًا على الكرسي بدا ضعيفًا ومستسلمًا وقانعًا بقدره.

هل انتهى صراع الزوجين المأزومين والمعذبين بعد قراراهما المشترك بالاستغناء عن خدمة بعضهما البعض تماما؟ ربما، فقد أضمر كلاهما رغبة عميقة ودفينة، هو ينتظر موتها كي يرثها وهي تنتظر موته كي تقترن بمن تراه أهلاً لها، لكن العمر امتد بهما ونسيهما الموت طويلا، نهشتهما الامراض واستقر كلاهما على كرسيه المتحرك وقد استعان كل منهما بعامل آسيوي لمساعدته، أما "سونيل" فتولى قيادة المنزل وأصبح الآمر الناهي فيه.

لمَ الشِعر؟

ما هو الشعر؟ سؤال حاضر أبداً في الحوارات الثقافية، وقد أُلفت في سبيله العديد من الكتبِ والمؤلفات. وإن ُكرر يَظل متجدداً وصامداً عبر الزمن. تكمن أهمية هذا السؤال في قدرته الهائلة على فتح تأويلات تأملية متفردة، ومدهشة في كلِ مرة. مهما بحثت لن تجد جواباً علمياً واضحاً في تعريف الشعر، وإن وجدت فإنه على الأغلب لن يكون على قدر كبير من المنطق. لأن الشعر بذاته لا يحتمل الكثير من المنطق، ولا يعيش ضمن سلسة من النظريات العقلانية.

كما إنـه لا توجد قواعد محـددة تعلم المـرء كيف يصبح شاعراً. والأمرالمضحك أن بعض الأفراد تبلغ بهم السذاجة بأن يُنظموا دورات قصيرة في كتابة الشعر، إذ إنه من المستحيل أن تعلم شخصا (كيف يكون شاعراً؟)، فالشعرمسألة جوانية تنبثق عن كينونة الفرد. نعم من الممكن إسداء بعض النصائح والتوجيهات التي تسهم في تغذية فن كتابة الشعر والتنويع في تقنيات التجربة، لكن قطعاً لا توجد وصفة سحرية لتعلم الشعروتعليمه.

في الواقع، فإن جزءاً من سحر الشعر وغموضه يكمن في كونه فخ آخاذ. لو جربت مثلاً أن تصيغ تعريفا للشعر ستجد نفسك واقعاً في هذا الفخ لا محال. إذ إن المحاولات المتكررة لفهم الشعربحد ذاتها تعد تمرينا ذهنيًا ونفسيًا ممتعًا – أرى أن تعريف الشعر هو بداية القصيدة. على رأي الشاعر الفرنسي بول فاليري: (لدى أغلبية البشر فكرة غامضة عن الشعر، وهذا الغموض في فكرتهم هو الذي يمثل بالنسبة لهم تعريف الشعر).

لطالما شكّل الشعر حالة غريبة. الشعر يشبه الغابة الهائلة المليئة بالأشجارالضخمة، الملتفة حول بعضها البعض، أو لعله يشبه تشابك جذور النباتات تحت التربة، رقيقة، وحساسة ومن الصعب أن تعرف أين تبدأ وأين تنتهي، على الرغم من أنها مخفية لكنها سبباً في الحياة. أو لعل الشعر هو إحساسك الذي يتعذر وصفه ما أن تسمع موسيقى جميلة، أو لربما هو حلم رأيته وقد مسّ مناطق غائرة في وجدانك.

إنـه لغز محـير، وبـاب مشرع للتفكير الحـر، للحفر في الذاكرة والمخيلة عن ما يدور في الوجود الإنساني. الشعر حقل للاقتناص والتجريب، للاكتشاف، للتأمل والالتفات اليومي، للتفنن في اللغة وأساليب صياغة المعنى. قال بورخيس ذات مرة مخاطباً الطلاب في إحدى محاضراته: (لقد أمضيت حياتي وأنا أقرأ وأحلل وأكتب، وقد توصلت إلى نتيجة نهائية حول مسألة لغز الشعر، وهي أن عليّ دوما أن أعود من جديد وأن أكتشف الأدب بنفسي، ولا أستطيع أن أقدم إليكم سوى ترددي وشكوكي، نحن لن نتوصل إلى شيء إطلاقاً، بحيث أنه يجب أن نبحث عن الشعر لأنه يترصد عند أي منعطف ويمكن أن يبرز أمامنا في أي لحظة.. لو كان علي أن أعرف الشعر لقلت إنه: (تعبير عن الجمال بكلمات محبوكة بصورة فنية).

يمكن لهذا التعريف أن ينفع في معجم أو في كتاب تعليمي، لكنه يبدو قليل الإقناع. لأن هنالك شيئاً مخفياً وأكثر أهمية، شيء لا يشجعنا فقط على مواصلة تجريب الشعر، وإنما الاستمتاع به. نحن نعرف الشعر إلى حد لا نستطيع معه تعريفه بكلمات أخرى، مثل ما نحن عاجزون عن تعريف مذاق القهوة، أو اللون الأحمر أومعنى الحب أوالفجر).

أما عن جدوى كتابة الشعر، فتتنوع إجابات الشعراء كل حسب مستوى ثقافته ورؤيته. أجاب أدونيس حينما سُؤل، لم تَكتب الشعر: (أكتب حتى أشعر أنني موجود، وحتى أحاول أخيراً أنَ أكون في مستوى هذا الوجود). حيث يكتب البعض الشعر لأنهم يعتبرونه محاولة مستمرة للفهم، فهو الحياة وعلاقة الإنسان بعالمه وما يحيويه من مفاجآت. بينما يكتبه آخـرون باعتباره خلاصًا من واقع الحياة الصعب وتفاهات السوشال ميديا. وقد يُعتبر وسيلة لتعزيز الشعور بالإنسانية التي يجب الحفاظ عليها وتحصينها بشكل دائم. فيما قد يشكل الشعرصوتاً سيما للذين يكتبون شعرا ينقلون فيه همومهم الوطنية وخذلان شعوبهم من شراسةِ الأنظمة. في حين إنه لا تزال فئة كبيرة ترى أن الشعرَ محضَ وهم، وجملة تهويمات لا تسمن ولا تغني.

يترفع الشعر راسخاً في الذات الإنسانية عبر الأزمنة، متمسكاً بسيادته، بخلوده بين صنوف الأدب الأخرى، وتبرز قوته في قدرته على احتواء الكون بكل مافيه من تقلبات تترك أثراً في أعماق النفس. وفي كونه يمنح الشاعر الامتياز الدائم لقول ما لا يقال برشاقة وموسيقى بالغة، شرط أن يستمد الشعر قوته وجماله من شخصية مبدعه، عمق تجربته وحساسيته، موهبته واتساع أفقه. وبناء عليه فإن الشعر خروج عن المألوف – عن الكلام التقريري الممل، في الشعرانغماس في الكلمة وهي المادة الأولى لأي شاعر. في الشعر غياب، ورحيل لأمكنة لن تصل إليها خطوط الطيران في العالم يوماً.

وهذا مكان الشاعرمحمود درويش نتخذه مثالاً: «المكان أمٌ تعصر الغيمة كي تغسل ثوباً، والمكان هو ماكان، وما يمنعني الآن من اللهو.. المكان الفاتحة، الأرض والتاريخ فيّ، المكان الشيء إن دل عليّ، لا شيء يضيء الاسم في هذا المكان ».

جنان العود

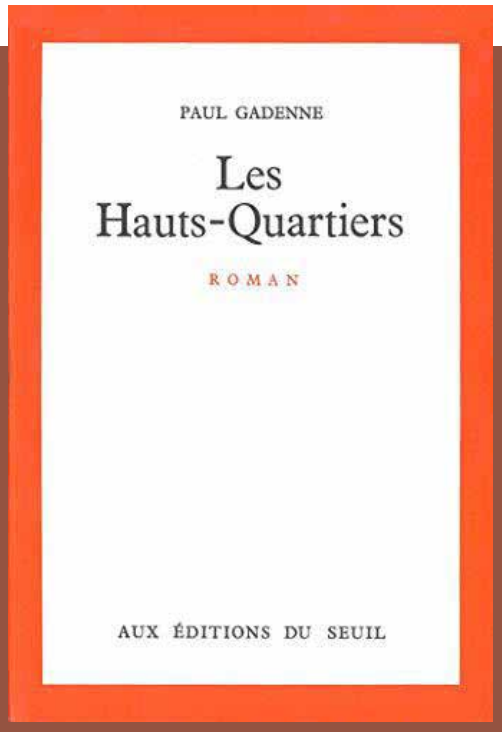

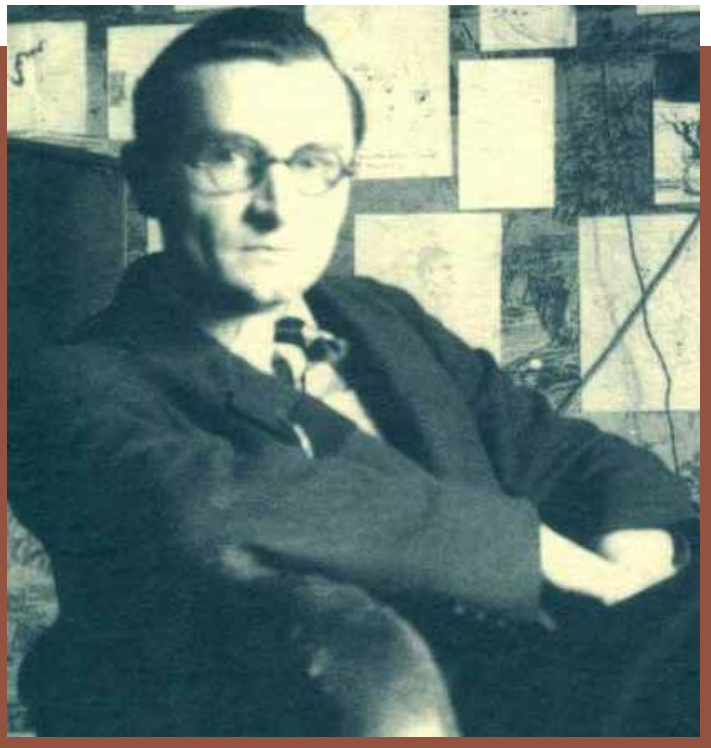

سرقة الفضيلـــة والإبداع

سوسن حسن

أليس من الإجحاف أن نزور متحف اللو#ر دون المرور بتمثال «الوقت سارق الفضيلة والفنون» للفنان التشكيلي أونوريه بيليه ؟ إن حالفنا الحظ واستطعنا المرور بقاعة المنحوتات، لا نستطيع بالتأكيد إغفال الأعين عن التحديق بتمثال الوقت، وهو مجسد في صورة رجل ذات جناحين، يهاجم امرأة، ويجردها من فضيلة الابداع والفنون. في إشارة إلى شراسة الوقت الذي يأخذ كل ما نملك من موهبة وهو ماض في النفاذ، اختار أونريه أن يحيط هذه المرأة بثلاثة ملائكة ترمز للعمارة والكتابة والرسم وهي تبكي رحيلها.

ظلت تلك التحفة الفنية تشاغلني وأنا أفكر في شخص بول غادن، أحد الكتاب الفرنسيين غير المعروفين في عالمنا العربي بسبب إغفال المترجمين عنه. أكاد أقسم بأن قيمته الأدبية أعلى شأن من تلك الخاصة بألبرت كامو وسيلين، وكوليت، وسارتر وغيرهم من الكتّاب الذين لم يحفروا سوى في العدم.

لم يعش غادن طويلاً ، فقد أخذه الوقت قبل وقته، الا أنه كتب بغزارة عن الحب والإيمان والسلام والفضيلة. أهم رواياته هي «الأحياء العالية»، كتبها قبل موته لتكون سيرة احتضار .

تحكي تلك الرواية قصة رجل كان يعرف أن المرض سينال منه لا محالة، فيقرر أن يكتب رواية عن حياة القديسين في محاولة منه أن يعيش حياة مقدسة مهيبة كقبة السماء قبل أن يأخذه الموت. كان ديدييه، بطل الرواية يأمل أن يرى الله على الأرض قبل أن يستدير له على أعالي السحب. هي مهمة صعبة بالنسبة لبول الذي كان يحتضر عندما شارفت الحرب العالمية الثانية على الانتهاء، فبيئة الرواية تجسّد المجتمع الباريسي بعد الحرب، و آه كم كان الايمان والحديث عن الدين مدان في تلك الفترة.

الذي يظن بأن مجتمع بعد الحربِ، هو مجتمع ذا حماس متقد بالفضيلة والابداع مخطئ. فرنسا بعد الحرب، لم تكن دولة سلام مطلقاً، بل ساحة إعدام، محاطة بالتردي الفكري والأخلاقي، مجتمع برجوازي بدرجة أولى وأناني، وآثار تلك الأنانية منتشرة حتى وقتنا الحاضر. الرواية الفرنسية الحديثة ممثلة في أقلام ميشيل بوتور ونتالي ساروت، وآلان روب غرييه ومارغريت دوراس التي من شدة ظلاميتها، انتهى زمن الملحمة في الرواية الفرنسية هي خير دليل على تلك الانتكاسة. زمن بعد الحرب هو زمن خاو، زمن خالٍ من المعنى.

رغم كل ذلك، أصر بول غادنً البقاء خلف مكتبه من أجل إنجاز ملحمة «الأحياء العالية». الأحياء العالية هي حيث يعيش بطله ديدييه، الذي انتقل حديثاً إلى غرفة صغيرة وفي حقيبته روايات بلزاك ودستويفسكي. لم يتناغم ديدييه فقط مع غرفته الصغيرة بل كذلك مع مؤجرته، بيتي، تلك الفتاة الصادقة، التي آمنت سريعاً بموهبته وساعدته على اقتناء ما يحتاج من أوراق لكتابة أفكاره. معها عاش ديدييه أحلى فترة احتضار مشبعة بالحب والحيرة بين الشغف بالله والانسان أو الاثنان معاً. قبل بيتي، لم يكن ديدييه ليأبه بما تبقى له من أيام، ولكن غرقه في حبها جعله يقدر كل ثانية مشعة في حضورها.

يراسله صديقه بيير، من وقت لآخر للاطمئنان على صحته، وتدور بينهما محادثات شيّقة حول انحدار المجتمع ثقافياً وحول التزاماتهم السياسية. سنشهد لاحقاً في وسط الرواية حزن ديدييه لانقطاع تلك المراسلات وإعدام بيير من غير وجه حق بتهمة التواطؤ مع الألمان ومعاداة السامية.

تواجه ديدييه أيام يبدو المستقبل فيها كصباح ضبابي يجثم على النفس فلا يكاد المرء يبصر فيه موقع قدميه . لا شيء يسر روحه سوى الكتابة، فيبدأ أولى صفحات روايته وهو يفكر بكاتب التراجيديا بيير كورني، الذي سرعان ما يشمئز منه لاحقاً: «لقد كان كورني مسيحياً، ويعرف الدين بقدر ما أعرفه. لا ! مسيحياً بالاسم فقط، شأنه كشأن معاصريه من حقبة القرن السابع عشر المغبرة. مسيحي وغير مؤمن. مسيحي وروماني. كيف لم يكن يعي هذا التناقض ؟! كان يؤمن بإمكانية الإخلاص لله والدولة في آن، بعبادة الله والانسان في آن. هذا مستحيل ! لم يتغير ولن يتغير هؤلاء البشر. كورني لم يخطىء بل وصف الناس على ما هم عليه: منافقون، خطاؤون، عديمي نفع، فرنسيون. ان كنت تملك هذه الصفات فأنت فرنسي بالتأكيد وفخور بكونك ما أنت عليه!». ليس ذلك مدعاة للفخر. غرورهم أفسدهم، أوصلهم للكراهية، والكراهية مضادة للحياة. كان ديدييه يسخر مما يراه وهو يعدّ كتابه. يظن أنه على مشارف الموت ولكن الأحياء أموات أكثر منه. لقد سرق الوقت منهم ما تبقى فيهم من فضيلة.

«الكتابة عن القداسة مهمة صعبة، وأنت إنسان ضعيف تتألم يا ديدييه» هكذا كان يقول بول الكاتب لبطله، أو لقرينه. لم يعد هذا زمان الفضيلة والإبداع. التافه والأتفه منه قادمين لا محالة والإيمان لم يعد بضاعة رابحة.

كتب بول غادن تلك العبارات غير مؤمن بها، لأنه لا يصرخ النبيل إلا اذا تجاوز الألم حده . «الأحياء العالية» لم تكن سوى صرخة في وجه ظلامية وخواء فكري ما زالت أوروبا تعاني منه وتنقل عدواه للشرق، إلا أن ذلك لا ينبغي أن يستمر من وجهة نظره، فلا شيء يبقى على حاله، ومع كل انتكاسة، هنالك شفاء. هنا تأتي حتماً ضرورة شفاء العقول وترجمة ما يستحق أن يقرأ لتجاوز ما سبق.

الغيرةُ الصفراء

شعر
منار السمّاك

من ابتسامةٍ صفراءَ كان يُخفي خنجرًا نصلُه العسلُ وعروتُهُ السمُ الزعافُ
غمزني أنني معكَ كماءِ المطر
هطلتْ من أشعةِ عينيهِ حروفٌ شوهاء
معانيها الأولى قمرٌ
وبواقيها لهيبٌ مستعِر.
أنتَ ما أنتَ ؟
تجمعُ الحبَ ومن خلفِ حبّك شرٌ ؟
قتلتْكَ الغيرة
لن ترى في شفقِ الآخرينَ ضياء
لن تعيشَ فرحةً ترقصُ في أعينِهم
أنتَ بعتَ من نفسك حبًا
أسكنتَ في قلبكِ غيرةَ الحسد
ورميتَ آثامَكَ تنثرُها
تعرقلُ الطريقَ
تزرعُ أشواكَ الحسدِ الدامي
أرأيتَ أنني لا أسرقُ الخبزَ !
ولا أنهبُ اللقمةَ والكحلَ
لا أسكبُ في طريقِ الناسِ سوى وردٍ يفوحُ أريجا
أترى أنّ الأريجَ يزعجُ من عينيك البريق ؟!
أم ترى أن ضياءَ الشمسِ لا يشملُني دفئا؟!!
أم ترى أنّ الوجودَ هو أنت ؟
لا تكنْ مثلَ الخريفِ
تسرقُ الأشجارَ أوراقًا وزهرا
كن ربيعيَ العطاءِ
مثلَ شمسٍ
وأريجٍ
فاحَ فَينَا
عمّتِ الدنيا جمالا وفرح
عُدْ إلى رشدِك
لا تجعلْ من الصفرةِ نهجًا
اغبط الناسَ وقدّمْ زهرةً في كلِّ يدْ
قدْ تُميتُ الغيرةُ قلبًا
ثمّ ما تلبثُ أنْ تغدو عذابًا
ونكالا
عدْ إلى رشدكَ
اكتبْ قلبَكَ قلبي
ورشدُ القلبِ أنْ يغدو كريمًا
لا غيورًا أوَ حسودا

شعر
جعفر الديري

في أُبهَة الموتِ

نص: جعفر الديري
بلىْ ورمآدِ الأحبَّة...
مازلت مُحتفظا بالندىْ...
سورةً سورة وكتابا كتابا
لا تزال الأماسِيْ التي لملمَتها الطيور...
تزفُّ إليَّ سلاما سلاما
كُنتَ في أُبهَة الموتِ تتبعني...
تتقصَّى يمينيْ.
تَرى في الشُعاعِ المباغتِ...
أرجوحةً تتهادىْ.
كنتَ تسألُ عن جُبَّة للحيارىْ
وكنتَ نقيضَ الذين أناخُوا سفائِنهم...
ترسلُ الليلَ ما بين قوسين...
تحفظ فوقَ البساطِ نجومًا بعادا
وكُنتُ أراكَ كعُشبٍ بكفِّ الطفولةِ...
يزهر يطوي المِهَادا
كان ليْ أن أرىْ في بواكيرِ ذاكَ المساءِ...
شموعا تراقصُ ما بين عصفورتين...
وروحٍ مجنَّحة تتندَّى.
وراءَ خيالاتِنا كان ضوءُ المدينة يغفوْ...
ويسألُ ريحِ الشمالْ:
«أيُّ حُلمٍ تُرى أوقعتَه الدماءُ...
ففرَّ وُقيتَ الشجا»؟!
حينَ ألقيتَ وجهَك نحو اليمَامة...
شاهدتُ نخلكَ يعبُر في قاربِ الفجرِ...
منتشياً بالحكايا.
مرَّ دمعُ هناك يُسائِل عن صخرةٍ تتهَاوىْ.
عنْ مدىْ عَتمةٍ تتخطَّى مكانَ اليباسِ...
لتنزلَ في الياسمينةِ حِبرا... مدادا.

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن - مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 145 ـ ديسمبر 2019 السنة السابعة عشر SDPA 499

ليست دعابة

شعر:
مهدي سلمان

إنني أفهمك يا آرثر
إننا نعيش في مكب نفايات
يطردوننا من العمل
يغلقون كل الأبواب
الرجال ببذلاتهم الأنيقة
الرأسماليون وموظفوهم
يستخدموننا، ثم يرمونا في المكب
يسخرون منا
نحن مهرجو القاع
ثم يطلبون منا أن نشفق
لا، لا شفقة بعد الآن
إنما هي الضحكة الوقحة
إنما هي الضحكة الغصة
إنني أفهمك تماما
هذا هو الواقع،
كما هو دون زيف الفن
كما هو دون رتوش الخيال
بشع ومنحط ويستحق ولا يستحق
وليست ثورة ما سيحدث
ليست ثورة
إنما فوضى وغضب
فوضى وصراخ
غضب وتحطيم

ليست دعابة غير مفهومة
إنما دم توماس واين مع قمامته على
الشارع
لستَ رمزاً أفهمك
لست رمزاً لشيء
إنما كما نحن جميعاً
احتجاج على عدم وجودنا
احتجاج على وجودنا المريض
إنني أفهمك
لكنني أحاول انتزاع القناع عن وجهي
ولا أقدر.

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com